

جامعة النجاح الوطنية

كلية الدراسات العليا

منهج القصة القرآنية في تهذيب الشهوات

إعداد

أحمد عبد القادر حسن قطناني

إشراف

د. محسن سميح الخالدي

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس ، فلسطين

2011 م

منهج القصة القرآنية في تهذيب الشهوات

إعداد

أحمد عبد القادر حسن قطناني

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 27 / 7 / 2011 ، و أجزت .

التوقيع

محمد الخالدي

.....
.....
.....

أعضاء لجنة المناقشة

د. محسن الخالدي (مشرفاً).

د. حاتم جلال التميمي (ممتحناً خارجياً)

د. عودة عبد الله (ممتحناً داخلياً).

الإهداء

إلى أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام، الأسوة الحسنة في تهذيب الشهوات، وعلى رأسهم سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم .

إلى العلماء العاملين والدعاة المخلصين، القدامى والمحدثين، وأخص بالذكر منهم الشهيد سيد قطب رحمه الله، الذي أحببته في الله دون أن أراه .

إلى أبي الحنون وأمي الرؤوم حفظهما الله ، اللذين ربّاني على موائد القرآن، وغرسا في قلبي حب العلم والإيمان، وأنفقا من جهدهما ووقتهما ومالهما، ما لا أستطيع شكره مهما قدمت وبذلت، غير أنني أدعو لهما " وَوُوؤُؤُ".⁽¹⁾

إلى روح أخي وحببي عثمان الذي أكرمه الله بالشهادة في سبيله مع أكرم الناس، جمالي نابلس منصور وسليم ورفاقهم، في يوم الثلاثاء المشهود 2001/7/31م رحمهم الله تعالى.

إلى زوجتي الغالية آلاء، التي ساندتني بدعائها، وأعاننتي بهدوئها، وشجعتني بجميل كلامها، أدامها الله لي حبيبة وفيّة، ورزقني منها أحسن نزية .

إلى إخواني الأحباب خليل ويوسف وعلي ورضوان وأختي سوسن رعاهم الله جميعاً.

إلى أحبائي في الله، رفقاء الدرب في دعوة مباركة، أصلها ثابت وفرعها في السماء، الشهداء منهم والأسرى والجرحى، ومن ينتظر قضاء نحبه على طريق ذات الشوكة .

أهدي عملي المتواضع هذا

الباحث

¹ - سورة الإسراء (24)

شكر وتقدير

أقدم شكري وامتناني إلى فضيلة الدكتور محسن سميح الخالدي حفظه الله، الذي تكرم بالموافقة على الإشراف عليّ في هذه الرسالة، وله العرفان الكبير لما نفعني به من توجيهات وتعليمات، ولما منحني من وقته وجهده وعلمه، لإخراج هذه الرسالة على نحو يليق بطلبة العلم الشرعي، فجزاه الله عني خير الجزاء.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى أصحاب الفضيلة، أعضاء لجنة المناقشة الدكتور حاتم جلال التميمي أستاذ التفسير في جامعة القدس أبو ديس، والدكتور عودة عبد الله أستاذ التفسير ورئيس قسم أصول الدين في جامعة النجاح الوطنية، لتفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة.

كما أقدم شكري لأخي الدكتور خليل قطناني حفظه الله الذي أفادني من علمه وتجربته وخبرته الكثير، وقرأ رسالتي مدققاً وناقداً.

وأعرب عن تقديري وشكري لصديقي العزيز نائر ظاهر الذي بذل من وقته وجهده في طباعة هذه الرسالة، ما لا أنساه له ، وأدعو له بجزيل الأجر في الآخرة، ولزميلي الأستاذ شريف قاطوني الذي ترجم الملخص إلى اللغة الانجليزية.

ولا أنسى أبداً، تقديم الشكر والعرفان لأساتذتي الكبار في كلية الشريعة، وفي قسم أصول الدين خاصة، حفظهم الله تعالى وزادهم علماً وعملاً وإخلاصاً، ونفع بهم دينهم وأمتهم.

الباحث

الإقرار

أنا الموقع أدناه مقدّم الأطروحة التي تحمل العنوان:

منهج القصة القرآنية في تهذيب الشهوات

أقرّ بأن ما اشتملت عليه هذه الأطروحة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الأطروحة ككل أو أي جزء منها لم يقدّم من قبل لنيل أية درجة علمية، أو بحث علمي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى .

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's Name: اسم الطالب: أحمد عبد القادر حسن قطناني.

Signature: التوقيع:

Date: التاريخ:

فهرس المحتويات

رقم الصفحة	الموضوع
ب	قرار لجنة المناقشة
ت	الإهداء
ث	شكر وتقدير
ج	الإقرار
ح	فهرس المحتويات
ز	الملخص
1	مقدمة
2	أهمية الدراسة
3	حدود الدراسة
3	مشكلة الدراسة
3	أهداف الدراسة
4	الدراسات السابقة
5	منهجية الدراسة
6	خطة الأطروحة
9	الفصل الأول: مقدمات عن القصة القرآنية
10	تمهيد

11	المبحث الأول: مفهوم القصة القرآنية
11	المطلب الأول: القصة في اللغة.
12	المطلب الثاني: القصة في الاصطلاح
14	المبحث الثاني: أهمية القصة القرآنية
16	المبحث الثالث: أهداف القصة القرآنية
20	المبحث الرابع: منهج القصة القرآنية وخصائصها
27	الفصل الثاني: تهذيب الشهوات..المفهوم والدلالة
28	المبحث الأول: "الشهوة" في اللغة والاصطلاح
28	المطلب الأول : " الشهوة " في اللغة
29	المطلب الثاني : " الشهوة " في الاصطلاح
32	المبحث الثاني: نظائر "الشهوة" والفروق بينها
32	المطلب الأول : الفرق بين الشهوة والهوى
33	المطلب الثاني : الفرق بين الشهوة والإرادة
35	المطلب الثالث: الفرق بين الشهوة والمحبة
36	المطلب الرابع : الفرق بين الشهوة والتمني
36	المطلب الخامس : الفرق بين الشهوة واللذة
38	المبحث الثالث: مفهوم تهذيب الشهوات
41	المبحث الرابع: "الشهوة" في السياق القرآني ودلالاتها
43	المطلب الأول : دلالات وإشارات عامة للآيات جميعها

45	المطلب الثاني : دلالات آية " زين للناس حب الشهوات " وسياقها الذي وردت فيه.
53	المطلب الثالث : دلالات آية " والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً " وسياقها الذي وردت فيه.
57	المطلب الرابع : دلالات آية " فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً " وسياقها الذي وردت فيه
63	المبحث الخامس: آثار اتباع الشهوات
66	الفصل الثالث: منهج القصة القرآنية في تهذيب شهوة الجنس
67	تمهيد
69	المبحث الأول: الدعوة إلى اللباس وستر العورة
74	المبحث الثاني: الدعوة إلى غض البصر وعدم الاختلاط
78	المبحث الثالث: الحث على الزواج
83	المبحث الرابع: التحذير والتهديد والذم والإنكار على متبعي شهوة الجنس
91	المبحث الخامس: الاستعانة بالله واللجوء إليه
94	المبحث السادس: ضرب النماذج الإيجابية والسلبية
107	الفصل الرابع: منهج القصة القرآنية في تهذيب شهوة البنين
108	تمهيد
112	المبحث الأول: الابتلاء في الأبناء
113	المطلب الأول: الابتلاء بالعقم وتأخر الإنجاب

116	المطلب الثاني: الابتلاء بالفراق والبعد
119	المطلب الثالث: الابتلاء بقتل الولد أو موته
122	المطلب الرابع: الابتلاء بعقوق الأولاد أو كفرهم .
126	المبحث الثاني: تقديم رابطة العقيدة على رابطة النسب والقرابة
129	المبحث الثالث: اللجوء إلى الله والاستعانة به
134	المبحث الرابع: ضرب النماذج الإيجابية والسلبية
136	الفصل الخامس: منهج القصة القرآنية في تهذيب شهوة المال
137	تمهيد
140	المبحث الأول: النهي عن تطفيف الكيل والميزان
143	المبحث الثاني: الدعوة إلى القناعة والكرم والإنفاق في سبيل الله
143	المطلب الأول: الدعوة إلى القناعة
145	المطلب الثاني: الدعوة إلى الكرم
146	المطلب الثالث: الدعوة إلى التصدق والإنفاق في سبيل الله
149	المبحث الثالث: اللجوء إلى الله والاستعانة به
149	المطلب الأول: الدعاء
150	المطلب الثاني: الصلاة
151	المطلب الثالث: تذكر نعم الله وشكرها
154	المطلب الرابع: تذكر الدار الآخرة
156	المبحث الرابع: الذم والإنكار على متبعي شهوة المال

159	المبحث الخامس: التخويف والتهديد بالابتلاء والعذاب
165	المبحث السادس: ضرب النماذج الإيجابية والسلبية
172	الخاتمة
172	نتائج الدراسة
176	توصيات ومقترحات
178	فهرس الآيات القرآنية
192	فهرس أطراف الأحاديث النبوية الشريفة
193	فهرس الأعلام
194	قائمة المصادر والمراجع
b	الملخص باللغة الإنجليزية

منهج القصة القرآنية في تهذيب الشهوات

إعداد

أحمد عبد القادر حسن قطناني

إشراف

الدكتور محسن سميح الخالدي

الملخص

تتأول هذا البحث دراسة القصة القرآنية، وبيان منهجها في تهذيب الشهوات، وتتوصل الباحث إلى أن الشهوة أمر مغرور في طبيعة الإنسان وفطرته، لا ينبغي أن تكبت وتقتلع، بل أن تهذب وتضبط، بلا إفراط ولا تفريط.

واستنبط الباحث هذا المنهج بعد دراسة قصص القرآن الذي تحدث عن شهوات الجنس والبنين والأموال، فأما منهجه في تهذيب شهوة الجنس فيرتكز على الدعوة إلى اللباس وستر العورة، وعض البصر وعدم الاختلاط، والحث على الزواج، والإنكار على متبعي شهوة الجنس، وتهديدهم بالعذاب إن لم يتوبوا.

وأما منهجه في تهذيب شهوة البنين فيقوم على ركيزة الابتلاء في الأبناء، وتقديم رابطة العقيدة على رابطة النسب والقرابة.

وأما منهجه في تهذيب شهوة المال فيستند على النهي عن تطيف الكيل والميزان، والدعوة إلى القناعة والكرم والإنفاق في سبيل الله، والذم والإنكار على متبعي شهوة المال، وتهديدهم بالابتلاء والعذاب إن أصرّوا على ذلك.

ووجد الباحث في جميع ذلك القصص أن الله تعالى فتح أبواب الدعاء واللجوء إليه، وطلب عونه للمساعدة في تهذيب الشهوات، ووجد كذلك نماذج إيجابية يقتدى بها، وأخرى سلبية ينبغي الابتعاد عن سبيلها، فجعل المبحث الأخير في كل فصل لبيان أخلاق تلك الشخصيات وتوضيح ما ينبغي الاقتداء به من تصرفاتهم، وما يجب تركه منها.

وقد راعت هذه الدراسة جـدّة الموضوع، فأسست له، وأبرزت منهجه، وأظهرت آثاره،
وعرضت ثماره، وبينت الحلول العملية والنظرية له، وقدمت العبر والدروس واللفتات والدلالات
التي ينبغي على من يريد تهذيب شهواته اتباعها والتخلق بها

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن وفصله، وأحكم آياته وسوره، وقضى أن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولم يجعل له عوجاً.

والصلاة والسلام على من كان خلقه القرآن، والذي أنزل عليه الفرقان ليكون للعالمين نذيراً، فأخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور؛ ليكون لهم سراجاً منيراً.

وعلى الصحابة والتابعين، وآل البيت المطهرين، الذين تخلقوا بالقرآن، وتحلوا بالعلم والإيمان، فصاروا مصاحف تمشي على الأرض وقلوبهم معلقة بالسماء، وعلى من تبع هديهم واقتفى أثرهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن العلماء تباروا في دراسة كتاب الله تعالى، وتدبروا آياته، ودرسوا محكمه ومنتسابه، وحاولوا الكشف عن أسرارهِ ومعانيهِ، والتعرف على أغراضهِ ومراميهِ، فكان لكل منهم منهجه في الشرح والتأويل، ومذهبه في الكشف والبيان، فمنهم من رجع إلى لفظهِ ومفرداتهِ، ومنهم من عمد إلى أسلوبهِ وإعجازهِ، ومنهم من قصد إلى كتابتِهِ ورسمهِ، ومنهم من استنبط التشريع والأحكام، ومنهم من رام معرفة النحو والإعراب وكل هؤلاء وقعوا منه على البحر الزاخر، والكنز المليء بالجواهر.⁽¹⁾

ولقد هدى الله بتوفيقهِ الباحث - وله الحمد والمنة - إلى اختيار موضوع جديد، يتعلق بقصص القرآن؛ لدراستهِ واستنتاج العبر والدلالات منه، واستنباط منهجه في قضية من أهم قضايا المجتمع، ألا وهي تهذيب الشهوات.

فإن المرء ينظر إلى الواقع في هذه الأيام، ويرى ما يفعله أهل الهوى ومتبعو الشهوات، من تزيين لها، وتحسين لصورتها، وتسميتها بغير اسمها، لتتال القبول عند الناس، ويشاهد ما يقومون به من إشاعة للفاحشة، ونشر للرديلة، في كل مكان يصلون إليه، وبكل وسيلة يتمكنون

¹ - انظر: المدني، علي صبح: مقدمة الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني (ت: 1974م): أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. 1386هـ - 1967م.

منها؛ ليفتتوا الناس عن دينهم، ويحرفوا الشباب عن إسلامهم، حتى أصبح المتمسك بدينه كالقابض على الجمر، مما يجعل الدعاة وطلبة العلم ملزمين للوقوف بحزم في وجه هذه الهجمة الشرسة التي تستهدف الدين والجيل.

لذلك، أحب الباحث أن يعكف على دراسة القصص القرآني، وأن يتأمل القصص الذي تحدثت عن الشهوات، وأن يسير بخطى ثابتة صابرة مدروسة؛ لاستخراج منهج علمي موضوعي محدد، عظيم الأثر، عديد الوسائل، مرسوم القواعد، امتثالاً لأمر الله تعالى: "پ □ □ □" (1) ، ولمساعدة الناس في تهذيب شهواتهم وضبطها وفق شرع الله، وكما يحب ويرضى، وسمى هذه الأطروحة (منهج القصة القرآنية في تهذيب الشهوات).

أهمية الدراسة:

تتبع أهمية هذه الدراسة من بيانها للطريقة النظرية والعملية في تهذيب الشهوات، التي انساق وراءها كثير من أبناء الأمة في هذا الزمان، وهم يطلبون حلاً عملياً، ومنهجاً منضبطاً، يقودهم إلى بر الأمان، وشاطئ النجاة. وفي هذه الأطروحة التي استلهم الباحث منهجها من القصص المذكور في كتاب الله ما يبتغون بإذنه تعالى، فالقرآن يصف الدواء للعليل فيشفى، ويضع الترياق للمريض فيبرأ، قال تعالى: "هُهههههه" (2).

وهذه الدراسة محاولة جادة للتعرف على منهج القصة القرآنية في تهذيب الشهوات، وإبراز هذا الجانب الخطير للناس جميعاً، مما يقوي صلتهم بكتاب الله تعالى، الذي هجره - للأسف - كثير من أبناء الأمة في هذا الزمان، ويظهر المجتمعات من أحوال متبعي الشهوات، وأثارهم السيئة، وأدرانهم الخبيثة.

¹ - سورة الأعراف (176)

² - سورة الإسراء (82)

حدود الدراسة:

- أولاً: الاختصاص بدراسة قصص القرآن الكريم الذي يتحدث عن الشهوات فقط.
- ثانياً: الاختصار على دراسة الشهوات الثلاثة التي وردت في قوله تعالى: "طَطَّطْهُم بِهَبْهَبِهِ" (1).

مشكلة الدراسة:

تجيب هذه الدراسة عن الأسئلة التالية:

- أولاً: ما هو مفهوم الشهوة؟ وما المقصود بتهديبها؟
- ثانياً: ما هي دلالات مصطلح الشهوة في السياق القرآني؟
- ثالثاً: كيف أستطيع أن أتحكم بشهواتي وأهذبها في ظل هذه المتمعات المليئة بآثار اتباع الشهوات؟
- رابعاً: كيف أستطيع أن أستنبط منهج القصة القرآنية في تهذيب الشهوات؟
- خامساً: ما هو المنهج النظري والعملي في تهذيب شهوات الجنس والبنين والأموال؟

أهداف الدراسة:

- أولاً: توجيه أنظار الناس إلى أهمية القصة القرآنية، وأهدافها وخصائصها ومنهجها.
- ثانياً: استخراج العبر والدلالات من الآيات التي أوردت مصطلح الشهوة في السياق القرآني.
- ثالثاً: تقديم الحلول والإجابات لسؤال الدراسة الرئيس، وهو كيف أهذب شهواتي وأضبطها وأتحكم بها؟

¹ - سورة آل عمران (14)

● رابعاً: استنباط المنهج النظري والعملي في تهذيب شهوات النساء والبنين والأموال، من خلال دراسة قصص القرآن الذي تحدث عن ذلك.

● خامساً: إثراء المكتبة الإسلامية بما هو نافع ومفيد وجديد.

الدراسات السابقة:

لا يعلم الباحث أحداً قبله بحسب علمه واطلاعه - كتب في هذا الموضوع بشكل علمي مستقل، أو عرض خطة دراسية له كالتالي يعرض في هذه الأطروحة، مما يكسب الموضوع جدية وأهمية بالغة؛ إذ إنه يعرض في هذه الحلة لأول مرة.

وقد سبق الباحث عدة من المؤلفين، كتب في جوانب معينة من هذا الموضوع، مثل كتاب (المعالجة الإسلامية للشهوات) للشيخ عبد الحميد كشك ، وكتاب (الشهوة) لإبراهيم محمد الجمل وكتاب (الأحكام الفقهية المتعلقة بالشهوة) لعادل بن عبد الله المطرودي.

فقد عرّف الأول الشهوات، وعدد أنواعها وجعلها ستة، ثم شرع بذكر المعالجة الإسلامية من القرآن والسنة لشهوات النساء والبنين والمال) على اعتبار أن الذهب والفضة والخيل والأنعام والحرث تتعلق بها). وقسم الثاني كتابه إلى خمسة فصول، تحدث في الأول عن مبعث الشهوة، وفي الثلاثة التالية عن شهوات المال والفرج والجاه، وفي الأخير عن كبح الشهوة وعلاجها. إلا أنهما كتيبين صغيرين، صفحاتهما معدودة، لم يهدفا فيهما إلى الاستقصاء، ويؤخذ عليهما عدّهما الشهوة مرضاً يحتاج للمعالجة، وقلة الحلول العملية المطروحة، والاستطراد في مواضيع ليس لها علاقة مباشرة -بالعلاج - كما يريان، وأما الكتاب الثالث وهو رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الفقه من جامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض، فقد اعتنى بالجوانب الفقهية للموضوع في حين اعتنت رسالتي بالجوانب الإيمانية.

وأما هذه الأطروحة فتتميز بما يلي:

• أولاً: الاقتصار على الشهوات الثلاثة المذكورة في القرآن الكريم، وهي النساء والبنين والأموال، وهي التي أوردتها آية "لَنْ نَنْقُضَ عَهْدَهُمْ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ" (1).

• ثانياً: التوضيح بأن الشهوة طبيعة في الإنسان، وجزء من تكوينه، وليست مرضاً يحتاج إلى معالجة، وإنما إلى تهذيب وتوجيه.

• ثالثاً: تخصيص قصص القرآن المتحدث عن الشهوات في الدراسة.

• رابعاً: محاولة استقصاء جميع الحلول العملية والنظرية المذكورة في قصص القرآن ، التي تساعد في تهذيب الشهوات.

• خامساً: التركيز على محور الدراسة دون استطراد ممل ، ولا تقصير مخل.

منهجية الدراسة:

يتبع الباحث في هذه الأطروحة المنهج الاستقرائي التحليلي الذي يستطيع من خلاله القيام بما يلي:

أولاً: جمع الآيات القرآنية التي تتعلق بموضوع الدراسة، والرجوع إلى تفسيرها في الكتب القديمة والحديثة؛ لتحليلها واستنباط العبر والدروس منها.

ثانياً: تتبع الأساليب المختلفة التي استخدمها القصص القرآني، واستخراج منهجه في تهذيب الشهوات.

ثالثاً: عزو الآيات إلى مواضعها في القرآن الكريم بذكر اسم السورة ورقم الآية.

رابعاً: تخريج الأحاديث النبوية الشريفة ونسبتها إلى مصادرها، فإن كانت في صحيح البخاري أو مسلم يكتفي بتصحيحهما للحديث وإن كانت في غيرهما يحكم عليها بالصحة أو الضعف.

¹ - سورة آل عمران (14)

خامساً: توثيق النقول توثيقاً علمياً كاملاً عند أول ورود للمرجع، وإذا تكرر النقل منه يكتفي بذكر اسم الشهرة للمؤلف والكتاب والجزء والصفحة.

سادساً : وضع النقول بين إشارتي تنصيص إذا كان النقل حرفياً، وإذا كان النقل بالمعنى فيشير إليه بكلمة " انظر " أو "بتصرف" في الهامش.

سابعاً: عدم وضع علامتي الاعتراض عند صيغ الترضي أو الترحم أو الصلاة والسلام.

ثامناً: الكلام عن الباحث بصيغة الغائب تواضعاً.

تاسعاً: تسجيل أهم نتائج البحث والتوصيات والاقتراحات في الخاتمة، وإعداد فهرس للآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة، والأعلام، والمحتويات، والمصادر والمراجع، تعيين الدارسين الوصول إلى مبتغاهم بيسر وسهولة.

خطة الأطروحة:

قام الباحث بتقسيم بحثه إلى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة، وضمّن كل فصل عدة مباحث، وفرّع المبحث إلى مطالب -إن احتاج الأمر إلى ذلك -، وهي على النحو الآتي:

مقدمة

الفصل الأول: مقدمات عن القصة القرآنية.

المبحث الأول: مفهوم القصة القرآنية.

المبحث الثاني: أهمية القصة القرآنية.

المبحث الثالث: أهداف القصة القرآنية.

المبحث الرابع: منهج القصة القرآنية وخصائصها.

الفصل الثاني: تهذيب الشهورات..المفهوم والدلالة.

المبحث الأول: "الشهوة" في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: نظائر "الشهوة" والفروق بينها.

المبحث الثالث: مفهوم تهذيب الشهوات.

المبحث الرابع: "الشهوة" في السياق القرآني ودلالاتها.

المبحث الخامس: آثار اتباع الشهوات.

الفصل الثالث: منهج القصة القرآنية في تهذيب شهوة الجنس.

المبحث الأول: الدعوة إلى اللباس وستر العورة.

المبحث الثاني: الدعوة إلى غض البصر وعدم الاختلاط.

المبحث الثالث: الحث على الزواج.

المبحث الرابع: التحذير والتهديد والذم والإنكار على متبعي شهوة الجنس.

المبحث الخامس: الاستعانة بالله واللجوء إليه.

المبحث السادس: ضرب النماذج الإيجابية والسلبية.

الفصل الرابع: منهج القصة القرآنية في تهذيب شهوة البنين.

المبحث الأول: الابتلاء في الأبناء.

المبحث الثاني: تقديم رابطة العقيدة على رابطة النسب والقرابة.

المبحث الثالث: اللجوء إلى الله والاستعانة به.

المبحث الرابع: ضرب النماذج الإيجابية والسلبية.

الفصل الخامس: منهج القصة القرآنية في تهذيب شهوة المال.

المبحث الأول: النهي عن تطيف الكيل والميزان.

المبحث الثاني: الدعوة إلى القناعة والكرم والإنفاق في سبيل الله.

المبحث الثالث: اللجوء إلى الله والاستعانة به.

المبحث الرابع: الذم والإنكار على متبعي شهوة المال.

المبحث الخامس: التخويف والتهديد بالابتلاء والعذاب.

المبحث السادس: ضرب النماذج الإيجابية والسلبية.

وهذا الذي بذل هو جهد المقل، فما كان فيه من صواب فمن الله، وله الفضل والمنة

بذلك، وما كان من تقصير أو خطأ أو نسيان فمن الشيطان، والله ورسوله منه بريئان.

الباحث

الفصل الأول

مقدمات عن القصة القرآنية

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم القصة القرآنية.

المبحث الثاني : أهمية القصة القرآنية.

المبحث الثالث: أهداف القصة القرآنية.

المبحث الرابع : منهج القصة القرآنية وخصائصها.

تمهيد:

كتب كثير من المؤلفين في موضوع قصص الأنبياء أو القصص القرآني وأهدافه وخصائصه ومنهجه، و قد عنيت تلك الكتب بهذه الجوانب وركزت عليها، وذكرت شيئاً من ذلك مطوّلاً أو مختصراً.⁽¹⁾

وليس البحث هنا بصدد الحديث عن مفهوم القصص القرآني وأهدافه ومنهجه بشكل مستقل، فلذلك كتب خاصة، غير أن موضوع الدراسة " منهج القصة القرآنية في تهذيب الشهوات " يحتم على الباحث التعرض لذلك بشكل موجز؛ ليكون البحث منهجياً وواقعياً، وليأخذ القارئ - وبخاصة من يقرأ في القصص القرآني لأول مرة - معلومات كافية، تمكنه من إكمال القراءة ببسر وهداية.

لذلك قدّم الباحث هذا الفصل وجعله في أربعة مباحث ، الأول: في مفهوم القصة القرآنية، والثاني: في أهميتها ، والثالث: في أهدافها وأغراضها، والرابع: في خصائصها ومنهجها.

ولم يكن الهدف في هذه المباحث الاستقصاء، وإنما ذكر ما لا بد من معرفته لأي قارئ في موضوع القصص القرآني، وينوه الباحث في هذا السياق أن العلماء القدامى لم ينظروا إلى مثل هذه القضايا بشكل منفصل، بل كانت كتبهم تسرد القصص سرداً، لذلك تجد معظم الكتب التي تناولت أهداف القصص القرآني وخصائصه ومنهجه حديثة.

المبحث الأول

¹ - من هذه الكتب: 1. قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس للثعلبي 2. قصص القرآن الكريم لفضل عباس 3. القصص القرآني لصلاح الخالدي ، 4. مع الأنبياء في القرآن لعفيف طيارة ، 5. القصص القرآني أهدافه وخصائصه ومنهجه لسليمان الداغور. انظر: نوفل، أحمد : **مناهج البحث والتأليف في القصص القرآني**. ط1. عمان : دار الفضيلة. 1427هـ-2007م.

مفهوم القصة القرآنية

المطلب الأول: القصة في اللغة.

بعد مراجعة أمهات كتب اللغة، والمعاجم اللغوية، التي أوردت مادة (ق ص ص) يلخص الباحث ما توصل إليه، فيقول:

القصّ: تتبّع الأثر ، **والقصص - بفتح القاف-** : رواية الخبر ، والخبر المقصوص ، والأخبار المتتابعة ، والأثر ، قال تعالى : " **ج ج ج ج ج** " (1)

والقصص - بكسر القاف- : جمع القصّة التي تكتب ، ومن ذلك اشتقّ القصص : وذلك أن يُفعل بالشخص مثل فعله بالأول. ومن الباب قص الشعر: وذلك أنك إذا قصصته فقد سوّيت بين كل شعرة وأختها. (2)

والفرق بين القصص - بكسر القاف- والقصص -بفتحها- هو أن الأولى : جمع قصة، تقول: فلان يكتب القصص ويرويها، والثانية: الأخبار والروايات التي يتتبعها القاصّ ويرويها. (3) ومن الجدير ملاحظته أن القرآن الكريم لم يستعمل لفظ القصص إلا بالفتح، ولعل في ذلك إشارة إلى تمييز طريقة القرآن وأسلوبه في عرض هذه الأحداث والوقائع التي تضمنتها قصصه، كما تميز من قبل بذكر الأحداث والأخبار الصحيحة التي لا خيال فيها. (4)

1 - سورة الكهف (64)

2 - انظر: ابن فارس ، أبو الحسين أحمد(ت:395هـ) : **معجم مقاييس اللغة** . تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر (11/5). والأصفهاني، الحسين بن محمد الراغب(ت:502هـ) : **المفردات في غريب القرآن**. مراجعة وتقديم وائل أحمد عبد الرحمن، القاهرة : المكتبة التوفيقية .(405). وابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري(ت:711هـ) : **لسان العرب**. بيروت: دار صادر (73/7). ومصطفى، إبراهيم وآخرون : **المعجم الوسيط** . استانبول. دار الدعوة . (739).

3 - الخالدي، صلاح عبد الفتاح : **القصص القرآني..عرض وقائع وتحليل أحداث**. ط2.دمشق: دار القلم، وبيروت: الدار الشامية. 1428هـ - 2007م. (21/1) بتصرف.

4 - الدقور، سليمان محمد. **القصص القرآني أهدافه وخصائصه ومنهجه**. ط1 . عمان : دار الفضيلة .

1428 هـ - 2007 م. (7).

المطلب الثاني: القصة في الاصطلاح

يبدأ الباحث بتعريف القصة الأدبية بعد أن وضّح أصلها اللغوي، ليستطيع بعدها تحديد مفهوم القصة القرآنية.

فالقصة : " حكاية نثرية طويلة تستمد من الخيال أو الواقع أو منهما معاً ، وتُبنى على قواعد معينة من الفن الكتابي ". (1)

وهي " وسيلة للتعبير عن الحياة أو قطاع معين من الحياة يتناول حادثة واحدة أو عدداً من الحوادث بينها ترابط سردي ويجب أن تكون لها بداية ونهاية ". (2)

أو هي " فن أدبي يتناول حادثة أو مجموعة حوادث تتعلق بشخصية أو مجموعة من الشخصيات الإنسانية في بيئة زمانية ومكانية ما ، تنتهي إلى غاية أو هدف بُنيت من أجله القصة بأسلوب أدبي ممتع ، كما أنها تجمع بين الحقيقة والخيال ". (3)

بعد سرد هذه التعريفات التي اختارها الباحث، تتكشف له أهم النقاط التي يجب توافرها في أي قصة أدبية حتى تُسمّى بذلك، وهي:

أولاً: فن أدبي له قواعده وأهدافه.

ثانياً: حكاية نثرية قد تجمع بين الحقيقة والخيال.

ثالثاً: وسيلة للتعبير عن الحياة.

رابعاً: ذات أسلوب ممتع وشائق.

¹ - إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط (739) .

² - المحامي، محمد كامل حسن : القرآن والقصة الحديثة. ط1. بيروت : دار البحوث العلمية. 1970م. (9).

³ - زايد، فهد : أسرار القصة القرآنية. ط1. عمان : دار يافا. 2007م. (11).

أهمية القصة القرآنية

إن الذي يقرأ القرآن الكريم، سيجد أن القصص فيه قد شغل حيزاً كبيراً ومساحة واسعة، قد تصل إلى الربع أو تزيد قليلاً.⁽¹⁾ وهذا - بلا شك - يدل على أهمية القصص القرآني، إذ لا يُعقل أن يُفرد الحكيم الخبير في كتابه المعجز والخالد إلى يوم القيامة هذه المساحة الكبيرة للقصة، ثم لا يكون من وراء ذلك هدف جليل كبير.

ومما يدل على أهمية القصص القرآني كذلك، وجود سورة كاملة في القرآن الكريم اسمها (القصص) فصلت كثيراً من قصة موسى عليه السلام، ووجود سورٍ أخرى سُميت بأسماء أنبياء ذُكرت فيها قصصهم وغيرها، مثل سورة يونس، وهود، ويوسف، وإبراهيم، ونوح عليهم الصلاة والسلام، ومما يبين أهمية القصص القرآني - أيضاً - أنه كان مطمح أنظار الكتاب والمؤلفين، لما رأوا فيه من عظيم الفائدة، وجليل الأثر على الإيمان عبر الأجيال.

يقول الدكتور صلاح الخالدي: " ونظراً لأهمية القصص القرآني فقد تولى الله قصه على رسوله⁽²⁾ ، وجاء الأمر صريحاً من الله إلى رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يقص القصص القرآني على الناس⁽³⁾ " (4).

" والقصة في القرآن ليست عملاً فنياً مستقلاً في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه - كما هو الشأن في القصة الفنية الحرة - التي ترمي إلى أداء غرض فني طليق، إنما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى أغراضه الدينية، والقرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شيء، والقصة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة وتثبيتها " (5).

¹ - انظر: عباس، فضل حسن(ت:2011م) : القصص القرآني إبحاؤه ونفحاته. ط1. عمان: دار الفرقان. 1407هـ-1978م.(10).

² - يقصد قوله تعالى: " ع ن ل ك ك " ، سورة يوسف(3).

³ - يقصد قوله تعالى: " ب □ □ □ " ، سورة الأعراف(176).

⁴ - الخالدي : القصص القرآني (31/1).

⁵ - قطب ، سيد(ت:1966م) : التصوير الفني في القرآن. ط17. القاهرة : دار الشروق. 1425هـ-2004م.(143).

إن للقِصص أهمية كبيرة في حياتنا؛ لأن الناس تستهويهم القصص والروايات والحكايات، ومن الأمور المهمة والأساسية التي جعلت الناس ينحرفون عن منهج القرآن الكريم، تلك القصص والروايات التي يحبها عدد من المخرجين السينمائيين على شكل أفلام ومسلسلات ساقطة ، خالية من كل خُلق ، داعية إلى كل رذيلة، وكذلك التي يؤلفها بعض الكاتبين في الكتب والمجلات الهابطة، التي تنتشر الفتن والفواحش بدلاً من العفة والحياء.

وأولئك القوم يقومون بهذه الألاعيب بهدف إبعاد الناس عن كتاب ربهم، مصدر عزتهم، ومنهج حياتهم ، ولتخريب الجيل المسلم الذي يقع على عاتقه مهمة النصر والتمكين ، فعلى طلبة العلم والدعاة إلى الله مقاومة هذا التيار الجارف، وردّ الناس إلى الأصل (القرآن العظيم) ، فإن كان الناس تستميلهم القصص التافهة الشهوانية، فإن في كتاب الله قصصاً كثيراً، نافعاً ومفيداً في الدنيا والآخرة ، وإن كان أولئك القوم يؤلفون القصص ويختلقونها من خيالهم الضيق؛ من أجل إفساد الناس ، فإن قصص القرآن واقعي وحقيقي ليس فيه خيال ، بل إنه يلامس حياة الناس وواقعهم، ويقدم لهم كل خير يفيدهم ، ويؤدي بهم إلى عاقبة حميدة وخاتمة حسنة، وله كذلك منهج راق يساعد الناس في تهذيب الشهوات وضبطها؛ ليعيشوا حياة سعيدة في ظل القرآن، وليصلوا إلى رضوان الله وجنته.

ويعتبر الباحث أن إدراك أهمية القصص القرآني، تدفع إلى مزيدٍ من الدراسة والتعمق؛ لاستخراج عبره ودلالاته التي تنفع الناس في الدارين ، وإلى تخصيص الأبحاث فيه من أجل الوصول إلى نتائج محققة للغرض، وموصلة للهدف، غير مخلة ولا مملّة .

المبحث الثالث

أهداف القصة القرآنية

فحينما يقرأ المسلم قصص القرآن بما يحويه من تجارب السابقين ، وتحقيق حُسن الختام للمؤمنين ، والخيبة والخسران للكافرين، تهدأ نفسه ، ويطمئن قلبه ، ويقوى إيمانه ، ويزداد يقينه بالله تعالى.

● **ثالثاً:** شحذ العقول والأفكار ، يقول تعالى : " پ □ □ □ " (1) . وكثيراً ما يُعقب القرآن بعد سرد القصص أو في أثناءه، بقوله : " □ □ " (2) أو " □ □ " (3) وغيرها، وعندما يقرأ المرء هذا القصص، ويتفكر فيه، ويُعمل عقله الذي وهبه الله له؛ لاستخراج العبر والعظات والدلائل المقصودة منه ، فإن ذلك - بلا شك- سيقوده إلى الطريق القويم، والصرراط المستقيم بإذن الله .

● **رابعاً:** الاقتداء بالأنبياء و الصالحين، وبيان أساليبهم في الدعوة إلى الله ، فقد ذكر الله ثمانية عشر نبياً في سورة الأنعام، ومدحهم وآباءهم وذرياتهم وإخوانهم بالاجتباء والهداية، ثم قال بعدها : " □ □ □ □ □ □ " (4) .

والله سبحانه وتعالى قصّ القصص ، وضرب فيها نماذج إيجابية امتثلت أوامره ودعت إليه، كالأنبياء، و الصالحين -ذكوراً وإناثاً- من أمثال لقمان، وذي القرنين، ومريم، وامرأة فرعون ، للاقتداء بهم، والسير على نهجهم، ونماذج أخرى سلبية لرجالٍ ونساء خانوا الله ورسله، وانتهكوا حدوده، من أمثال فرعون، وهامان، وقارون، وامرأة نوح، وامرأة لوط ، للتفكير منهم، وتجنب تقليدهم.

● **خامساً :** إثبات صدق القرآن الكريم ، وصدق محمد صلى الله عليه وسلم ؛ إذ إنه نبيّ أميّ لا يقرأ ولا يكتب ، ولم يخرج من بين أظهر أهل مكة ، ولم يجلس إلى أحد من الكهّان ، ولم يتردد إلى أحد من رهبان اليهود والنصارى ، وعلى الرغم من ذلك فقد قصّ علينا من أخبار السابقين والأمم الماضية، ما لا يعرفه إلا من كان حاضراً معهم حينها ، وهذا يدل بما لا يدع مجالاً للشك

¹- سورة الأعراف (176) .

²- سورة القصص (43،46،51) .

³- سورة الأعراف (169) .

⁴- سورة الأنعام (83 - 90) .

الخير والشرّ ، والعجلة والتريّث ، والصّبر والجزع ، والشّكر والبطر ، وكثيرٌ غيرها من الأغراض الدينية ، والمرامي الخلقية ، قد تناولته القصة، وكانت أداة له وسيلاً إليه " (1) .

ومهما يكن من أمر فإن المسلم يستطيع أن يجني من القصص القرآني دروساً في كيفية الدعوة إلى الله ، وعظاتٍ في إصلاح البيوت والأسر ، وعبراً في فهم الحياة والواقع والتاريخ ، وأساليب عملية في تهذيب الشهوات وضبطها، ليسير وفق مرضاة الله ، وعلى مقتضى أوامره ونواهيه ، وهو المُبتغى من هذه الرسالة.

المبحث الرابع

منهج القصة القرآنية وخصائصها

النّهج في اللغة: الطريق ، يقال: نهج لي الأمر: أوضحه ، والمنهج والمنهج بمعنى المنهاج وهو الطريق الواضح ، قال تعالى: " كَ كَ كَ كَ كَ " (2) ، والنّهج: تواتر النفس من شدة الحركة ، يقال: أتانا فلان ينهج ، إذا أتى مبهوراً منقطع النفس.(3)

¹ - قطب: التصوير الفني في القرآن (144).

² - سورة المائدة (48).

³ - انظر: ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة . (361/5) . والأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد(ت:370هـ): تهذيب اللغة، تحقيق: محمد بن عبد المنعم خفاجي ومحمود فرج العقدة ومراجعة علي محمد الجاوي . الدار المصرية للتأليف والترجمة. (62/6). وإبراهيم مصطفى ورفاقه : المعجم الوسيط . (957).

والمنهج - كما يعرفه الدكتور الخالدي، وهو الذي اختاره الباحث - : "الخطة العلمية الموضوعية المحددة المرسومة الدقيقة، التي يتعرف عليها الباحث أو الدارس، ويقف على قواعدها وأسسها، ويلتزم بها، لتكون دراسته دراسة علمية منهجية موضوعية صحيحة."⁽¹⁾ وللكتابين في القصص القرآني منهجان، منهج سردي وهو الذي ظل مسيطراً على ساحة التأليف، وبقي هو المتبع في الفكر الإسلامي حتى العصور المتأخرة، ومنهج تحليلي وهو الذي يليق بمقام القصص القرآني، ولم يظهر إلا في منتصف القرن الماضي.

ومعلوم - بالضرورة - أن لكل علم منهجه المتناسب معه، والمتناسق مع طبيعته، فعلم الاجتماع يمكن أن يكون منهج دراسته ملاحظة الظواهر واستقراؤها ثم تحليلها، في حين يمكن أن يكون المنهج الأوفق للعلوم البحتة هو المنهج التجريبي. والقرآن العظيم له منهجه الخاص في درسه وتفسيره وتحليله، فلا يحاكم إلى مناهج الدراسات العلمية أو الإنسانية، فهو كلام الله الذي لا يجوز أن يقاس بمقاييس البشر، أو أن يطبق عليه القواعد والضوابط التي يتعاملون بها مع نصوصهم. ولا تطبق - كذلك - على القصة القرآنية معايير العمل الفني، ولا تخضع لقواعد النقد التي يستخدمها أهل هذا الفن.⁽²⁾

وللقصة القرآنية صفات وخصائص تميّزت بها عن سائر أنواع القصص الأدبية؛ لأن القصة القرآنية مصدرها الله تعالى، ومكانها القرآن الكريم، وهذا يُعطي شأنها ومنزلتها، ويبرزها على سائر القصص، ويدعو الباحثين والدارسين إلى التعامل معها وفق هذا المعيار.

ويسجل الباحث من خلال تتبّع مواضع ذكر القصص في القرآن، ومراجعة الكتب ذات الصلة، الخصائص التالية للقصة القرآنية:⁽³⁾

● أولاً: القصص القرآني هو أحسن القصص، قال تعالى: "عُ كُ لُ كُ" ⁽¹⁾ فقصص القرآن هو الأحسن على الإطلاق، ويبدو هذا جلياً من خلال اختيار القرآن لصيغة أفعل(اسم

¹ - الخالدي، صلاح عبد الفتاح، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين. ط1. عمان: دار العقل. 1999م. (12).

² - انظر: نوفل، مناهج البحث والتأليف في القصص القرآني. (9-12).

³ - انظر: عباس: قصص القرآن الكريم (45-49). والخالدي: القصص القرآني (1/29 - 30).

تفضيل) لتدل على أفضلية القصة المذكورة فيه على سائر القصص ، وهذا الوصف هو اختيار الله تعالى ، ومما يدل على ذلك أيضاً ، أن الله هو الذي يقصه ويرويّه، وما يخبر الله به فهو الحق والصدق والأفضل.

ومما يُلَمَح من خلال هذا الوصف أن القرآن يدعو إلى الاكتفاء بما قصّه، وعدم الالتفات إلى المصادر البشرية - مثل الإسرائيليات والأساطير - للحصول منها على تفصيلات سكت عنها القرآن⁽²⁾.

وقصص القرآن هو أحسن القصص؛ لأن القصة إذا كانت ممتعة فحسب، فهي قصة عابرة، وإذا كانت مفيدة فحسب، فهي جافة ، غير أن القصص القرآني فيه أحسن السياق والصيغة والبلاغة إلى حدّ الإعجاز ، وفيه القيم الإنسانية ، وفيه المتعة والتشويق والجمال بكل معانيه.⁽³⁾

● ثانياً: القصة القرآنية حقيقة لا خيال ، ولقد أراد الله تعالى أن يثبت هذا المعنى ويؤكدّه في النفوس ، لذا أكثر فيه من الآيات، ووضحه في كثير من المناسبات، حتى لا يظن الناس أن قصص القرآن خيال فني، أو أنه غير حقيقي، فلا يأخذوا منه العبرة والعظة ، ولا ينعكس على واقع حياتهم، وحتى لا يتبرّموا من التكاليف الربانية ، ولا يعتقدوا أن أوامر القرآن غير ممكنة التطبيق، والله سبحانه حاشاه أن يُعَلِّق الناس بأوهام وخرافات، أو أن يسرد القصص عليهم للتسلية والمتعة دون فائدة ، أو أن يكلفهم باتباع أقوام ليس لهم في الحقيقة وجود ، فهذا يستحيل على الله، فهو لا يقول إلا حقاً وصدقاً، ويبدأ الباحث بسرد الآيات شارحاً وموضحاً:

يقول تعالى: "أ ب ب ب ب ب ب ب" (4) ،

¹ - سورة يوسف (3).

² - الخالدي ، صلاح : مع قصص السابقين في القرآن . ط5. دمشق: دار القلم . 1428 هـ - 2007 م. (23) بتصرف .

³ - العامودي ، وليد محمد حسن : منهج القرآن الكريم في عرض قضايا العقيدة. غزة: آفاق للطباعة والنشر والتوزيع.(250) بتصرف.

⁴ - سورة آل عمران (62) .

وأما من يقول إن القصص القرآني فيه خيال أو أساطير⁽¹⁾ ، فهو يريد أن يُطبّق القوانين البشرية على الأحكام الربّانية ، والفنون الأدبية على الآيات القرآنية ، وهذا لا يليق بكتاب الله المُعجِز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، بل إنه يخالفه مخالفة صريحة، وينبغي عليه مراجعة دراساته من جديد، وتنزيه كلام الله عن كل نقص وعيب ، وتعلية مكانه ومنزلته في القلوب والعقول.

• ثالثاً : القصة القرآنية هادفة. (2)

فهي ليست عرضاً مجرداً لحقائق التاريخ، بل هي انتقاء لجوانب منه -إيجابية أو سلبية- لتحقيق أهداف القصة المرجوة ، وهي لم تقصد التأريخ المُجرّد، بل اتخذت منه مجالاً للموعظة والاعتبار والتأسي.

يقول تعالى : " □ □ □ □ □ □ □ □ " (3)

ويقول : "ف ق ق ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج" (4)

ويقول : " پ □ □ □ " (5) .

• رابعاً : بعض القصص ذكر أكثر من مرة في القرآن الكريم لأهداف معينة.

من خصائص القصص القرآني أن بعضه تعدد ذكره في سور مختلفة، وهذا الذي دُكر غير مرة في كتاب الله لا توجد منه قصّة واحدة ذُكرت في سورتين اثنتين بطريقة واحدة ، بل إن كل قصة قد جاء فيها ما لم يجئ في الأخرى ، وفي كل قصّة من المشاهد والجزئيات

¹ - مثل الكاتب خلف الله، محمد أحمد: الفن القصصي في القرآن الكريم. ط1. القاهرة: مكتبة النهضة الجديدة. 1950-1951 . (196-210).

² - لقد أوضح الباحث ذلك في المبحث السابق (أهداف القصة القرآنية)، وأكد هذه المسألة هنا لأنها من أهم خصائص القصة القرآنية .

³ - سورة يوسف (111).

⁴ - سورة هود (120).

⁵ - سورة الأعراف (176).

والأحداث ما تفرّدت به السورة عن غيرها، وإن وُجدت قضايا مُشتركة فلأن السّياق اقتضاها ، ومع ذلك لم تأت على أسلوبٍ واحد ، أضف إلى ذلك أن كل قصّة ذُكرت في سياق معين، لتخدم هدف السورة التي جاءت فيها.(1)

ويورد الباحث في هذا السياق تعريف التكرار كما يراه الدكتور فضل عباس ، وهو ينفي وجود تكرار في قصص القرآن، فيقول: " والتكرار - كما نراه - هو إعادة اللفظ نفسه في سياق واحد ولمعنى واحد ، فإذا لم يتوافر هذان الشرطان أي إذا لم يكن المُعاد اللفظ نفسه ، أو إذا ذُكر اللفظ أكثر من مرة ولكن لكل موضع سياقه الخاص ومعناه الخاص فإن ذلك لا نسميه تكراراً أبداً " .(2)

وبناءً على ذلك فإنه لا يُوجد في القصص القرآني تكرار، وأما الذي ذكر أكثر من مرة فيُعد ميزة له؛ لأن الله يورد القصة في كل سورة بما يناسب موضوعها ، ولا يكرّر اللفظ والمعنى والسّياق، فتطرب لسماعه وتلاوته، ولا تمل من قراءته، وهذا يبيّن بحق روعة الإعجاز البياني في القرآن الكريم.

● خامساً : القصّة القرآنية ذات طابع فني رائع. (3)

أشار الباحث فيما سبق إلى نوع من الإعجاز البياني لقصص القرآن الكريم، ويحاول التطرق هنا إلى طرف من إعجازه الفني، فالقرآن الكريم يجعل الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني ، فيخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفني.

والقصة في القرآن تتنوع طريقة عرضها للأحداث ، فمرة يذكر المُلخّص أو العاقبة ثم يعرض التفاصيل ، ومرة يبدأ بالقصة مباشرة بلا مقدّمة ولا تلخيص ، ومرة تُعرض القصة من أولها ، وتارة من نهايتها ، ومرة تُعرض كاملة ، وتارة تعرض بعض حلقاتها.

¹ - انظر : عباس : قصص القرآن الكريم (63) .

² - المرجع السابق (71).

³ - انظر : قطب: التصوير الفني في القرآن (180-190).

وكما تتنوع طريقة العرض تتنوع طريقة المفاجأة ، فمرة يكتم سرّها عن بطل القصة والذي يقرأها ، ومرة يكشفها للقارئ دون الأبطال ، ومرة لا يكون هناك سرّ ، بل تواجه المفاجأة كليهما جميعاً. ومن الخصائص الفنيّة للقصة تلك الفجوات بين المشهد والمشهد يملؤها خيال القارئ.

ومن أبرز خصائصها الفنيّة أيضاً، إقامة العرض على التصوير ، فالتعبير القرآني يتناول القصة بريشة التصوير المبدعة التي يتناول بها جميع المشاهد والمناظر التي يعرضها ، فتستحيل القصة حادثاً يقع ومشهداً يجري ، لا قصة تُروى، ولا حادثاً قد مضى.

والتصوير يكون على ألوان ، لونٌ يبدو في قوّة العرض والإحياء ، ولونٌ يبدو في تخيل العواطف والانفعالات ، ولونٌ يبدو في رسم الشخصيات.

تلك هي أهم خصائص ومميزات القصة القرآنية -وهي وإن كانت مختصرة- إلا أن قارئ القرآن إن فهمها ووعاها، واستشعرها عند تلاوة القرآن أو سماعه ، فسيعظم كتاب الله ومنزله جلّ جلاله، وسيقوى إيمانه ، ويزداد يقينه ، وسيعيش معه كأنه في روضة من رياض الجنة.

الفصل الثاني

تهذيب الشهوات..المفهوم والدلالة

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: "الشهوة" في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: نظائر "الشهوة" والفروق بينها.

المبحث الثالث: مفهوم تهذيب الشهوات.

المبحث الرابع: "الشهوة" في السياق القرآني ودلالاتها.

المبحث الخامس: آثار اتباع الشهوات.

المبحث الأول

" الشهوة " في اللغة والاصطلاح

المطلب الأول : " الشهوة " في اللغة

بعد الرجوع إلى أمهات كتب اللغة والمعاجم اللغوية، لمعرفة معنى الشهوة، يتبين للباحث

الآتي:

الشهوة في اللغة هي الرغبة الشديدة ، وتطلق أحياناً على القوة النفسانية الراغبة فيما يُشْتَهَى، وتطلق كذلك على ما يشتهي من الم لذات المادية ، فيسمى المشتهى شهوة، والجمع شهوات وأشهية وشهَى.

وطعام شهى : أي مشتهى ، واشتهى الشيء : اشتدت رغبته فيه ، وتشهَى الشيء : اشتهاه وطلبه مرة بعد أخرى ، والتشهى : اقتراح شهوة بعد شهوة ، وأشهاه : جعله شهياً وأعطاه ما يشتهي.

ويقال : رجل شهى وشهوان : أي شديد الرغبة في الشيء ، والرجل الشهوانى : الشديد

الرغبة في الم لذات المادية ، ويقال للمرأة : شهوى ، والجمع شهاوى.(1)

¹ - انظر : الأزهرى: تهذيب اللغة. (354/6) ، والصاحب ، إسماعيل بن عباد(ت:385هـ) : المحيط في اللغة ، تحقيق : محمد حسن آل ياسين . ط1 . بيروت : عالم الكتب . 1414هـ - 1994م. (26/4) ، و ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة (220 /3) ، والجوهري ، إسماعيل بن حماد(ت:396هـ) : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار . ط2 . بيروت : دار العلم للملايين. 1399هـ - 1979م. (2397/6) ، وابن منظور ، لسان العرب (444/14) ، ، والفيروز أبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي(ت:817هـ) :

والشهوة مرادفة للاشتهاء ، وإذا أردت التفريق بين معنيي الشهوة والاشتهاء ، قلت : " إن نسبة الأول إلى الثاني كنسبة الشوق إلى الاشتياق؛ لأن الأول يسكن باللقاء والثاني لا يزول به، وكذلك الشهوة فهي تسكن بالإشباع ، أما الاشتهاء فلا ينتهي".⁽¹⁾

وخلاصة القول في ذلك:

أولاً: تطلق الشهوة على معنيين: على الرغبة الشديدة للمشتهيات، وعلى المشتهيات نفسها.

ثانياً: الشهوة رغبة في النفس البشرية، وهي من أصل خلق الله في جميع الكائنات، ولذلك فهي ليست أمراً سلبياً؛ لأن فيها حفظ النفس والنسل.

ثالثاً: الشهوة تحتاج إلى تهذيب؛ كي لا تتعدى إلى الاشتهاء الذي لا ينتهي، وليس له ضوابط.

رابعاً: ليس هناك فرق بين الأنثى والذكر في هذه القضية.

المطلب الثاني : " الشهوة " في الاصطلاح

تعددت تعريفات العلماء لمصطلح الشهوة ،فقد عرفها الجرجاني بأنها : " حركة النفس طلباً للملائم"⁽²⁾ ، وعبر عنها المناوي بأنها : " نزوع النفس إلى محبوبٍ لا تتمالك عنه"⁽³⁾ ، وأما الراغب الأصفهاني، فقال عنها في مفرداته : " أصل الشهوة نزوع النفس إلى ما تريده ،

القاموس المحيط . ط2 . الطبعة الحسينية المصرية . 1344هـ . (350/4) ، وإبراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط (498/1) .

¹ - صليبا ، جميل : المعجم الفلسفي . بيروت : دار الكتاب اللبناني . 1982 . (1 / 711 - 712) .

² - الجرجاني، علي بن محمد الشريف(ت:816هـ): كتاب التعريفات . بيروت: مكتبة لبنان. 1969م . (135) .

³ - المناوي، محمد عبد الرؤوف(ت:1031هـ): التوقيف على مهمات التعاريف . تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان . ط1. القاهرة: عالم الكتب. 1410هـ - 1990م . (209) .

وذلك في الدنيا ضربان : صادقة وكاذبة ، فالصادقة : ما يختل البدن من دونه كشهوة الطعام عند الجوع ، والكاذبة : ما لا يختل من دونه⁽¹⁾.

ويجد الباحث بعد استعراض التعريفات أن مدارها يتسق والمعنى اللغوي ، فالشهوة : رغبة النفس الشديدة إلى مطالبها التي تلائمها وتحبها ولا تتمالك عنها ، وقد راعى الراغب الجانب النفسي في تعريفه، وبخاصة أنه يبحث في مفردات الكتاب العزيز ، فجعل الشهوة صادقة إذا كان عدم تلبية النفس لدافع الشهوة يؤثر سلباً على الإنسان ، أما إذا كان شهوانياً يلبي كل ما تطلبه نفسه دون النظر إلى الحلال أو الحرام ، وسواء كانت بحاجة أم لم تكن، فتلك شهوة كاذبة.

ومن خلال الواقع المعاش يستطيع المرء ملاحظة أن الطفل الصغير لا يشتهي الطعام إذا مرض؛ لذا يُعطى ما يُسمى: " فاتح الشهية " ، فإذا تناول جرعات منه صارت نفسه تشتهي. وكذلك المريض الكبير والمهموم و الذي أصيب بمصيبة، تراهم لا يشتهون النساء ولا الطعام، ولا يفكرون إلا بما ابتلوا به، وعدم تلبيتها يضعف البدن أو يمرضه، وهناك شهوات يختل المجتمع من دونها ، وهي التي فيها حفظ النوع كشهوتي النساء والبنين ، ولولاها ما تزوج رجل امرأة، فهؤلاء شهواتهم صادقة. وثمة قوم متزوجون - وقد يكون عندهم أربع نسوة - ومع ذلك تتطلع عيونهم إلى غيرهن مما حرم الله ، وقد يكونون من ذوي الأموال الطائلة، لكن نفوسهم تتوق إلى ما عند غيرهم، ويحرصون على جمع المال بأي وسيلة.. فأولئك شهواتهم كاذبة.

"وقد خلق الله الخلق على ثلاثة ضروب: خلق الملائكة وركب فيهم العقل ولم يركب فيهم الشهوة، وخلق البهائم وركب فيها الشهوة ولم يركب فيها العقل، وخلق ابن آدم وركب فيه العقل والشهوة، فمن غلبت شهوته عقله فالبهائم خير منه، ومن غلب عقله شهوته فهو خير من

¹ - الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن. (270).

الملائكة". فمن هذب شهوته صار في المنزلة عند الله فوق الملائكة ، ومن سيطرت عليه شهوته وتحكمت به صار أحطّ من البهيمة.(1)

"والإنسان في نظر الإسلام كائن لا هو بالملاك ولا بالشيطان، وإن كان قادراً في بعض حالات الهبوط أن يصل إلى درجة الشيطان من الشر ، وفي بعض حالات الارتفاع أن يسمو بروحه إلى مستوى الملائكة من الطهر ، ولكنه في حالته الطبيعية شيء بين هذا وذاك، مشتمل على الخير كما هو مشتمل على الشر ، وليس أي العنصرين غريباً عن طبيعته ولا مفروضاً عليه من خارجه".(2)

غير أنه في اللحظة التي يشتدّ فيها لصوقه بالطين، يرتد ليصل إلى درجة أدنى من الحيوان، قال تعالى: " ذُّف ُ ث ف ُ ف ُ (3) لأن الحيوان لا إرادة له ولا وعي فيما يفعل، وليس له إلا طريق واحد يسلكه هو طريق الجسد ودفعة الغريزة ، ولكن الإنسان له سمع وبصر وفؤاد، فحين لا يُعمل هذه الأدوات كلها يكون أضلّ من الحيوان. وحين يشتدّ علوه يرتفع ليصل إلى درجة أعلى من الملك، قال تعالى: " ك ك ك ك ك ك ك ك (4) ؛ لأن الملك يعبد الله دون أن يملك عصيانه ! وليس له إلا طريق واحد يسلكه هو طريق الروح والعبادة والطاعة، أما الإنسان ففي كيانه دوافع لا تفتقر ، ورغبات لا تكف ، وله طريقان يمكن أن يسلكهما لا طريق واحد، فحين يعمل بإرادته على تركية نفسه حتى تستقيم على الطاعة، يكون في مرتبة أعلى من الملك الذي يطيع ، وهو لا يستطيع إلا أن يطيع ، ولا يجد في كيانه ما يدفعه إلى العصيان.(5)

وفي ختام هذا المطلب، يخلص الباحث إلى ما يلي:

¹ - انظر: ابن تيمية، شيخ الإسلام تقي الدين أحمد الحرّاني (ت: 728هـ): مجموعة الفتاوى. تحقيق خيرى سعيد. القاهرة: المكتبة التوفيقية. (15 / 248). و الغزالي، أبو حامد، محمد بن محمد بن محمد (ت: 505 هـ): مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب في علم التصوف. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1402 هـ - 1982م. (21).

² - قطب، محمد: الإنسان بين المادية والإسلام. ط4. بيروت: دار إحياء الكتب العربية. 1965م. (80).

³ - سورة الأعراف (179).

⁴ - سورة الإسراء (70).

⁵ - قطب ، محمد: دراسات قرآنية. ط2. بيروت: دار الشروق. 1400هـ - 1980م. (117) بتصرف.

أولاً: اتساق المعنى الاصطلاحي للشهوة مع المعنى اللغوي ، وهو رغبة النفس الشديدة إلى مطالبها التي تلائمها وتحبها ولا تتمالك عنها.

ثانياً: الشهوة ضربان: صادقة وكاذبة، فالأولى: اشتهاؤ ما يختل الجسد من دونه، والثانية: اشتهاؤ ما لا يختل من دونه .

ثالثاً: من ضبط شهوته وهذبها فهو عند الله أفضل من الملائكة، ومن تحكمت به شهوته فانساق وراءها فهو أخط من الحيوان وأضل سبيلاً.

المبحث الثاني

نظائر " الشهوة " في اللغة والفروق بينها

يظنّ بعض الناس أن هناك مرادفات لمصطلح الشهوة ، وقد تبين بعد البحث أن العلماء القدامى ، أهل الفصاحة والبيان ، وأصحاب اللغة الأقحاح ، قد فرقوا بين الشهوة وكل ما يظن أنه مرادف لها ، بكلامٍ دقيق، وتعبير متين ، مع الحجة والبيان ، والدليل والبرهان ، مما يقود إلى الجزم بضرورة الرجوع إلى كلام السابقين وتقدير رأيهم ، فمنهم الأخذ إليهم الرد.

ومن هذه الألفاظ التي فرقوا بينها وبين الشهوة (الهوى ، والإرادة ، والمحبة ، والتمني ، واللذة) ، وهذا المبحث مختص بجمع ما ذكر وتلخيصه دون إخلال أو إملا بإذن الله.

المطلب الأول : الفرق بين الشهوة والهوى

يقول الجرجاني: " الهوى : ميلان النفس إلى ما تستلذه الشهوات من غير داعية الشرع"⁽¹⁾. ويقول العسكري: " والفرق بين الهوى والشهوة : أن الهوى لطف محل الشيء من

¹- الجرجاني، التعريفات. (378) .

النفس مع الميل إليه بما لا ينبغي ، ولذلك غلب على الهوى صفة الذم ، وقد يشتبه الإنسان الطعام ولا يهوى الطعام".(1)

وقال عنه الراغب : "الهوى هو ميل النفس إلى الشهوة، ويقال ذلك للنفس المائلة إلى الشهوة. وقيل : سمّي بذلك لأنه يهوى بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية ، وفي الآخرة إلى الهاوية"(2). وقال معلقاً على آية "ثُمَّ لَآتَتْهُ" (3) : "فإنما قاله بلفظ الجمع تنبيهاً على أن لكل واحد هوى غير هوى الآخر ، ثم هوى كل واحد لا يتناهى ، فإذا اتبع أهوائهم نهاية الضلال والحيرة"(4) .

ويمكن القول أيضاً: " إن الشهوة حال من أحوال النفس .. والهوى مقام من مقاماتها المرذولة ، فالشهوة عارضة ، فإذا استمكنت صارت هوى .. والهوى ملكة ثابتة وسلوك راسخ يجمع شهوة أو شهواتٍ كثيرة يصعب الإقلاع عنها، بعكس الشهوة العارضة ".(5)

ويخلص الباحث إلى القول: إن الهوى طريق الشهوة؛ فهو مقدمة لها، وسبب في وجودها.

المطلب الثاني : الفرق بين الشهوة والإرادة

يقول أبو هلال العسكري: " إن الإنسان قد يشتبه ما هو كاره له ، كالصائم يشتبه الماء ويكرهه ، وقد يريد الإنسان ما لا يشتهي كشرب الدواء المر، والحمية، والحجامة، وما بسبيل ذلك، وشهوة القبيح غير قبيحة ، وإرادة القبيح قبيحة ".(6)

¹ - العسكري، أبو هلال المحسن بن عبد الله(ت:395هـ): الفروق في اللغة. ط3. بيروت: دار الآفاق الجديدة. 1979م. (117) .

² - الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن. (524).

³ - سورة البقرة (120 ، 145).

⁴ - الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن. (524).

⁵ - الجمل، إبراهيم محمد: الشهوة. القاهرة: دار البشير. (15) .

⁶ - العسكري، الفروق في اللغة. (115) .

ويقول أبو البقاء الكفوي: " الشهوة : ميل جبلي غير مقدور للبشر بخلاف الإرادة ، وكذلك النفرة فإنها حالة جبليّة غير مقدورة بخلاف الكراهة ، وقد يشتهي الإنسان ما لا يريده بل يكرهه، وقد يريد ما لا يشتهي بل ينفّر عنه ، ولهذا قالوا : (إرادة المعاصي مما يؤخذ عليها دون شهوتها ، وكراهة الطاعات الشاقّة يؤخذ عليها دون النفرة منها) ".⁽¹⁾

ومهما يكن من أمر، فالشهوة طبيعة في الإنسان، فطر عليها لحكم ومقاصد كثيرة ، في حين أن إرادة الإنسان يملكها هو، وقد يشتهي الإنسان بعض المعاصي مثل الزنا، لكن قوة إيمانه تجعله يكرهها ولا يفعلها، أما إذا أرادها ثم فعلها فهو مأزور ، وعلى ضوء ذلك يفهم قول أبي هلال المتقدم " شهوة القبيح غير قبيحة ، وإرادة القبيح قبيحة " ، ومما يعزز ذلك حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : " إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمَلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ ضِعْفٍ إِلَى أضعافٍ كَثِيرَةٍ وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمَلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً ".⁽²⁾

ويؤكد الباحث في هذا السياق، أن تفرغ الشهوة بالطريق الصحيح يؤجر المرء عليه ولا يوزر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " وَفِي بُضْعٍ أُحَدِّثُكُمْ صَدَقَةً " . قالوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّتِي أَحَدْنَا شَهْوَتُهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ قَالَ " أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَلَيْسَ فِيهَا وَزْرٌ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ " ⁽³⁾ .

¹ - الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى(ت:1094هـ): الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1993م. (75) .

² - البخاري، محمد بن إسماعيل(ت:256هـ): صحيح البخاري، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد. المنصورة: مكتبة الإيمان. 1423هـ - 2003م. كتاب الرقاق، باب من هم بحسنة أو سيئة، حديث رقم (6491). صفحة (1318) .
ومسلم، بن الحجاج(ت:261هـ): صحيح مسلم، تحقيق: صدقي جميل العطار. ط1. بيروت: دار الفكر. 1421هـ - 2001م. كتاب الإيمان. باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر. حديث رقم (237) . صفحة (83) .

³ - مسلم: صحيح مسلم .كتاب الزكاة. باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف . حديث رقم (2218).
صفحة(458)

والملاحظ في الحديثين الشريفين أن مجرد الهم بالمعاصي لا يؤاخذ الله عليه ، بل إنه يجزيه عليه حسنة إن تركها من أجله، أما إن هم بها فعملها تكتب له سيئة، ومن انتهت معصية فتركها من أجل الله تعالى، فإنه يؤجر على ذلك الترك، وإشباع الشهوة بطريق الشرع مما يؤجر المسلم عليه أيضاً، غير أن الأولى عدم الهم بالمعصية وعدم اشتهاؤها أصلاً ، وهذا لا يتأتى إلا بزيادة الإيمان. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَدَّفَ فِي النَّارِ" (1) ، فكراهة الكفر والمعاصي تؤدي إلى أن يذوق القلب حلاوة الإيمان.

المطلب الثالث: الفرق بين الشهوة والمحبة

يقول الفخر الرازي في تفسيره بعد أن ذكر آية " ط ط ط ط " (2) ، " قال المتكلمون : دلت هذه الآية على أن الحب غير الشهوة؛ لأنه أضاف الحب إلى الشهوة ، والمضاف غير المضاف إليه " . (3)

ويقول العسكري: " الشهوة توقان النفس وميل الطباع إلى المُشْتَهَى ، وليست من قبيل الإرادة ، والمحبة من قبيل الإرادة، ونقيضها البغضة ، ونقيض الحب البغض ، والشهوة تتعلق بالملاذ فقط ، والمحبة تتعلق بالملاذ وغيرها " . (4)

والمحبة في رأي الراغب : " إرادة ما تراه أو تظنه خيراً، وهي على ثلاثة أوجه: محبة للذة؛ كمحبة الرجل المرأة...، ومحبة للنفع؛ كمحبة شيء ينتفع به...، ومحبة للفضل؛ كمحبة أهل

¹ - البخاري: صحيح البخاري . كتاب الإيمان . باب حلاوة الإيمان . حديث رقم (16) . صفحة (16) . ومسلم: صحيح مسلم . كتاب الإيمان . باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان . حديث رقم (71) . صفحة(50).

² - سورة آل عمران (14) .

³ -الرازي، محمد بن عمر بن الحسن الفخر(ت:606هـ): التفسير الكبير. ط2. طهران: دار الكتب العلمية. (195/7) .

⁴ - العسكري: الفروق في اللغة (115) .

العلم بعضهم لبعض لأجل العلم...، والمحبة أبلغ من الإرادة؛ فكل محبة إرادة، وليس كل إرادة محبة⁽¹⁾.

ثمة فرقان أساسان بين الشهوة والمحبة ، فالأول: أن الشهوة جِبِلِيَّة ، والمحبة إرادية ، وبذلك قد يشتهي إنسان أموراً لا يحبها ، وقد يحب أموراً لا يشتهيها، ثم إنه يملك أن يحب الشيء أو يبغضه ، لكن الأمر في الشهوة ليس كذلك.

والثاني: أن الشهوة تتعلق بالملاذ؛ من نساء وبنين وأموال، والمحبة تتعلق بها وبغيرها؛ لذا يستطيع الإنسان أن يقول: أحب النساء أو البنين أو المال، ويمكنه القول: أشتهي النساء أو البنين أو المال، ويستطيع أن يقول: إني أحب الله والرسول والدي وإخواني ، ولا يملك أن يقول: أشتهي أحداً من هؤلاء.

المطلب الرابع : الفرق بين الشهوة والتمني

يقول العسكري في الفروق: " الشهوة لا تتعلق إلا بما يلذ من المدركات بالحواس ، والتمني يتعلق بما يلذ وما يكره ، مثل أن يتمنى الإنسان أن يموت ، والشهوة أيضاً لا تتعلق بالماضي " (2)

يتبين - بعد سرد هذا الفرق - أن الإنسان قد يشتهي المال ، وقد يتمنى أن يصبح غنياً به، ثم إنه قد يصبح غنياً فتصيبه مصيبة أو تحلّ به كارثة مالية فيفتقر، فيتمنى أن يعود له ماله الذي كان معه ، وبذلك يكون التمني متعلقاً بالملاذات في الماضي والمستقبل ، أما الشهوة فتتعلق بالملاذات ولكن ليس في الماضي، بمعنى أنه لا يشتهي امرأة ماتت ، أو مالاً حُرِق ، أو ولداً فُقِدَ، إذ قد يكون هذا من قبيل التمني و التحسّر على ما فات لا من قبيل الشهوة ، هذا إذا كان التمني والاشتهاء متعلقاً بالملاذات. أما قوله: " الشهوة لا تتعلق إلا بما يلذ من المدركات

¹ - الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن (112) .

² - العسكري: الفروق في اللغة (117) .

والحواس، والتمني يتعلق بما يلذ وما يكره " ففيه تناقض مع ما قاله سابقاً: " إن الإنسان قد يشتهي ما هو كاره له " وبذلك لا يصلح هذا فرقاً بين الشهوة والتمني.

المطلب الخامس : الفرق بين الشهوة واللذة

قال أبو هلال العسكري: " الشهوة توفان النفس إلى ما يلذ وما يسر ، واللذة ما تاقنت النفس إليه ونازعت إلى نيّله فالفرق بينهما ظاهر " (1).

فاللذة -إذن- تتحقق في النفس ويشعر بها إذا فعل الإنسان ما يشتهي وما يحبه، فهي نتيجة للشهوة وثمرتها لها، فالمرء يشتهي الشيء الذي تكون فيه اللذة لينالها ويستمتع بها ، كشهوة النساء إذا اشتهاها الإنسان، نال اللذة التي تحصل بسببها واستمتع بها، وقس على ذلك البنين والأموال.

ويودّ الباحث التنبيه إلى أن اللذة التي يحبها المسلم ويستمتع بها ، لا تكون في نييل الشهوات فقط؛ بل إن في مناجاة الله وذكره، وتلاوة آياته، والتبتّل إليه بالصلاة وسائر العبادات، لذةً عظيمةً، من ذاق طعمها لا ينفك عنها، إلى أن يلقى الله تعالى، حينها يتمتع بلذة النعيم في الجنة، ويذوق لذة النظر إلى وجه الله عز وجل، فيتحقق فيه قوله سبحانه: "بِبِطْنٍ" (2) .

وفي نهاية هذا المبحث، يسجل الباحث النتائج التي توصل إليها في الفروق بين الشهوة ونظائرها:

أولاً: الهوى ميل النفس إلى الشهوة، ومؤدى ذلك أن الهوى طريق الشهوة، فهو مقدمة لها وسبب في وجودها.

ثانياً: الشهوة فطرية بخلاف الإرادة؛ لذا يؤاخذ الإنسان على إرادة المعاصي دون شهوتها، وينال الأجر إذا قضى وطره بالحلال.

¹ - العسكري: الفروق في اللغة (115) .

² - سورة يونس (26) .

خالية من الشوائب. ويقال : رجل مهذب : مُطَهَّر الأخلاق ، والمهذب من الرجال : المخلص النقي من العيوب.(1)

وهكذا يجد الباحث أن معنى التهذيب يدور حول التنقية والتخليّة والتربية ، والمطلوب من الإنسان المسلم أن يهذب شهواته ويضبطها ، لا أن يقمعها ويقتلعها ، فالشهوات أمر مغروز في فطرة الإنسان ، وليست مرضاً عضالاً أو معدياً أو مزمناً، يحتاج للمعالجة والتمريض.

وهذا التهذيب الذي هو التربية والتنقية والتخليص من الشوائب، يقي المسلم من الإفراط في الشهوات كما يقيه من التفريط. فكما أن إفراط الميلان الجنسي -مثلاً- وتجاوزه حد الاعتدال ضار، كذلك كبته وتذليله فوق الحد المعقول ضار أيضاً.(2)

وكما يُطلب التهذيب في شهوة الجنس ، فهو مطلوب في سائر الشهوات كذلك، وإنما يُركّز على شهوة الجنس في هذا الزمان؛ بسبب ما يروج من أفكار مضلّة، وتصورات هدامة، يتناقلها مستشرقون ومستغربون كثير، همهم الأكبر إطلاق العنان للشهوة الجنسية دون حدّ ولا قيد، فهم لا يريدون لها تهذيباً ولا تربية.

ولقد ذكر الأستاذ محمد قطب في كتابه " الإنسان بين المادية والإسلام " مثالين حصلوا في الغرب ، أحدهما لبائع صحف يضع الجرائد وعليها النقود فيأتي الناس فيأخذون جريدة ويضعون ثمنها ، فلا هم يسرقون النقود الموجودة ، ولا يحتالون بعدم الدفع .. والثاني لمنزل له حديقة ليس لها سور ، يمر الناس عليها فلا يقطفون أزهارها ولا يسرقونها، وقد حدثه أحد المصريين الذين كانوا هناك أنه رأى طفلاً لا يكاد يبلغ الجرس ، رآه يدقّه ليستأذن صاحب المنزل بقطف وردة لأخته الصغيرة.

¹ - انظر: ابن فارس: معجم مقاييس اللغة (45/6)، وابن منظور: لسان العرب (782/1)، والزيدي، محمد مرتضى(ت:1205هـ): تاج العروس من جواهر القاموس. بيروت: دار مكتبة الحياة. (513/1) ، وإبراهيم مصطفى ورفاقه: المعجم الوسيط (979)..

²-انظر: المودودي، أبو الأعلى(ت:1979م): الحجاب. دار الفكر (147 - 148) بتصرف.

الإرادة بهذه الصورة عملية لا تخلو من لذة، فليس الألم الذي يحدثه الضبط أحياناً غريباً على البشرية أو خارجاً عن نطاقها، وإنما هو على العكس من ذلك أمر مرغوب فيه". (1)

وخلاصة القول إن تهذيب الشهوات: هو ضبطها والتحكم فيها، وتطهير القلب وتنقيته من الآثار التي تترتب على اتباعها والانسحاق وراءها، لا أن تُزال وتُقتلع، ولا أن تتحكم هي في الإنسان فيصبح عديم الإرادة، بهيمي التفكير.. ولكن يبين بَيِّن، وهذا منهج الإسلام في سائر شؤونه (الوسطية) قال تعالى: " ف ف ف ف " (2).

المبحث الرابع

" الشهوة " في السياق القرآني ودلالاتها

يعرض الباحث في هذا المبحث مدخلاً لدراسة منهج القصة القرآنية في تهذيب الشهوات، من خلال الحديث عن كيفية ورود مصطلح الشهوة في السياق القرآني، وعدد مرات ورودها، وتقديم العبر والدروس والدلالات المستفادة من ذلك.

¹ - قطب: الإنسان بين المادية والإسلام. (113).

² - سورة البقرة (143).

فقد وردت كلمة الشهوة ومشتقاتها في القرآن الكريم ثلاث عشرة مرة (1)، فوردت مرة واحدة بلفظ " اشتتهت " في قوله تعالى : " پ پ پ پ پ پ " (2) ، ومرة واحدة بلفظ " تشتهي " في قوله تعالى : " ق ق ق ق ق ق " (3) ، ومرة واحدة أيضاً بلفظ " تشتهيه " في قوله تعالى : " و و و و و و " (4)

ووردت خمس مرات بلفظ " يشتهون " في قوله تعالى : " ط ط ط ط ط ط ق ق ق ق " (5) ، وفي قوله تعالى : " ك ك ك ك ك ك ك ك ك ك " (6) ، وفي قوله تعالى : " گ گ گ گ گ گ " (7) ،

وفي قوله تعالى : " ت ت ت ت " ، ط ط ، " ط ط " (8) ، وفي قوله تعالى : " و و و و و و " (9).

ووردت مرتين بلفظ المفرد النكرة " شهوة " وذلك في قصة لوط - عليه السلام - إنكاراً منه على قومه ، في قوله تعالى : " و و و و " (1) ، وقوله تعالى : " پ پ " (2).

¹ - انظر : عبد الباقي، محمد فؤاد(ت:1968م): المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. ط2. دار الفكر.

1401هـ - 1981م. (390 - 391).

² - سورة الأنبياء (102).

³ - سورة فصلت (31).

⁴ - سورة الزخرف (71).

⁵ - سورة النحل (57).

⁶ - سورة سبأ (54).

⁷ - سورة الطور (22).

⁸ - سورة الواقعة (20 - 21).

⁹ - سورة المرسلات (41 - 42).

ويشجع أولاده ونساءه على ذلك ، وفي الصحابة والصحابيات رضوان الله عليهم نماذج يُقتدى بهم في هذا المجال.(1)

ثانياً : الفعل(زَيْن) في قوله تعالى : " طُ طُ طُ ذُ ذُ ذُ " مبني لما لم يُسمَّ فاعله، فمن الذي قام بفعل التزيين؟

اختلف العلماء في ذلك، فمنهم من قال: إن المزين هو الشيطان، وهو ظاهر قول الحسن البصري رحمه الله: من زينها؟ ما أحد أشد لها ذمًّا من خالقها. واستدلوا بأربعة أمور وهي أن حب الشهوات مذموم ، وهي مطلقة في الآية فيدخل فيها الشهوات المحرمة ، واستدلوا بأن حب كثرة المال مذموم، ولأنه جعل الشهوات من متاع الحياة الدنيا وهي مذمومة ، ولأنه فضل عليها ما أعدّه للمتقين يوم القيامة.(2)

ومنهم من قال: المزيّن هو الله، وهو ظاهر قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه، واحتجوا بأن الله أباح الزينة والطيبات ، وأنكر على من حرّم ذلك بقوله: " تٌ تٌ تٌ طٌ طٌ طٌ " فجعل إباحتها في الدنيا غير منافية لنيلها في الآخرة، ولأنها قد تكون وسائل للآخرة بتكثير النسل، وكثرة الصدقات والمبرات، والجهاد في سبيل الله، وتزيينها هو من باب الابتلاء، والله هو الذي يبتلي وليس

¹ - الشعراوي، محمد متولي(ت:1998م): تفسير الشعراوي. مطابع أخبار اليوم. (1314/3 - 1315) بتصرف.

² - انظر: الطبري، محمد بن جرير(ت:310هـ): جامع البيان في تفسير القرآن. ط3. بيروت: دار المعرفة. 1398هـ - 1978م. (133/3)، والرازي: التفسير الكبير (7 / 193 - 195) ، و القرطبي، محمد بن أحمد(ت:671هـ): الجامع لأحكام القرآن. القاهرة: دار الكاتب العربي. 1387هـ- 1667م. (28/4). ورضا، محمد رشيد(ت: 1354هـ): تفسير القرآن الحكيم (الشهير بتفسير المنار). ط3. 1374هـ. (239 - 238/3)

³ - سورة الأعراف (32).

⁴ - انظر: الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن. (133/3)، والرازي: التفسير الكبير (7 / 193 - 195) ، و القرطبي: الجامع لأحكام القرآن.(28/4). ورضا: تفسير القرآن الحكيم (الشهير بتفسير المنار). (239 - 238/3)

الشيطان، كما قال تعالى: " قَدْ جَعَلَ لَكُم مِّنْ جَنَّةٍ مَّجِيدٍ (1) وقالوا: مما يؤكد ذلك قراءة مجاهد (2) و الضحَّاك (3)

" زَيْنٌ لِلنَّاسِ " على تسمية الفاعل. (4)

ومنهم من فصل بأن جعل الشهوات منها محمود ومذموم أو مباح ومحرم، وهو قول أبي عليّ الجبائي (5) والقاضي أبو بكر الباقلاني (6)، فقالوا: إن الله زين القسم الأول، والشيطان زين القسم الثاني. (7)

ويرى الباحث أن تزيين الشهوات الوارد في الآية هو من فعل الله تعالى، وقد اختار هذا القول عدد من المفسرين، منهم الزمخشري، والفخر الرازي، ومحمد رشيد رضا، وسيد قطب، وسعيد حوى وغيرهم. (8)

¹ - سورة الكهف (7) .

² - هو مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، الأسود، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، الإمام، شيخ القراء والمفسرين، توفي عام اثنتين ومئة وقيل غير ذلك. انظر: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت: 748هـ): سير أعلام النبلاء. تحقيق محمد أيمن الشبراوي. القاهرة: دار الحديث. 1427 هـ - 2006 م. (5 / 266) .

³ - هو الضحَّاك بن مزاح الهلالي، صاحب التفسير، كان من أوعية العلم. توفي سنة اثنتين ومئة، وقيل غير ذلك. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء. (5 / 358)

⁴ - انظر: الدمياطي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الشهير بالنبأ (ت: 1117هـ): اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر. وضع حواشيه أنس مهرة. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1419هـ - 1989م. (219). و عمر، أحمد مختار و مكرم، عبد العال سالم: معجم القراءات القرآنية مع مقدمة في القراءات و أشهر -القراء. ط3. عالم الكتب. 1997م. (388/1)

⁵ - هو محمد بن عبد الوهاب البصري، شيخ المعتزلة، وصاحب التصانيف، له كتاب (الأصول، والنهي عن المنكر، والأسماء والصفات وغيرها). مات بالبصرة سنة ثلاثٍ وثلاثمئة. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء. (11/113).

⁶ - هو محمد بن طيّب بن محمد بن جعفر بن قاسم البصري، ثم البغدادي، الإمام العلامة، أوجد المتكلمين، مقدّم الأصوليين. توفي سنة ثلاثٍ وأربعمئة. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء. (11/13).

⁷ - انظر الرازي: التفسير الكبير. (7 / 195) .

⁸ - انظر: الزمخشري، جار الله محمود بن عمر (ت: 538هـ): الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجود التأويل. بيروت: دار المعرفة. (1 / 416)، والرازي: التفسير الكبير (7 / 193 - 195)، ورضا: تفسير المنار (3/ 238 - 239)، وقطب، سيد (ت: 1966): في ظلال القرآن. ط7. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1391هـ - 1971م. (549/1)، وحوى، سعيد (ت: 1989م): الأساس في التفسير. ط1. القاهرة: دار السلام. 1405هـ - 1985م. (2 / 713) .

ويُرد على أدلة الفريق الأول بالآتي:

(1) الشهوات- ومنها المال- ليست مذمومة لذاتها، فبدونها لا تقوم حياة، ولأنها قد تكون وسائل للأخرة.

(2) تسميتها متاع الحياة الدنيا ليس ذماً لها؛ لأن خالق النساء والبنين والأموال هو الله، وقد خلقها للتمتع بها وفق منهجه، فهذا وصف للواقع.

(3) قولهم إنه فضل على الشهوات ما أعده للمتقين يوم القيامة، فهذا صحيح، ولا مجال للمقارنة أصلاً، غير أنه ليس في هذا ذم للدنيا؛ بل تشويق للأخرة، وحث لجعل الدنيا مزرعة لها.

يقول الإمام محمد رشيد رضا رحمه الله: " وغفل الجميع عن كون الكلام في طبيعة البشر، وبيان حقيقة الأمر في نفسه لا في جزئياته وأفراد وقائعه، فالمراد أن الله تعالى أنشأ الناس على هذا وفطرهم عليه، ومثل هذا لا يجوز إسناده إلى الشيطان بحال، وإنما يسند إليه ما قد يُعدّ هو من أسبابه كالسوسة التي تزيّن للإنسان عملاً قبيحاً، ولذلك لم يسند القرآن إليه إلا تزيين الأعمال، " چ چ چ چ چ چ چ چ چ " (1)، " □ □ □ □ □ □ □ □ " (2) " (3).

ويقول سيد قطب رحمه الله: " وصياغة الفعل للمجهول تشير إلى أن تركيبهم الفطري قد تضمن هذا الميل، فهو مُحِبٌّ ومُزَيِّنٌ... ففي الإنسان هذا الميل إلى هذه الشهوات وهو جزء من تكوينه الأصيل لا حاجة إلى إنكاره ولا إلى استنكاره في ذاته " (4).

فمُزَيِّنُ الشهوات هو الله تعالى، زينها لحكم متعددة، منها: إعمار الكون والحياة، وجعلها وسيلة للتقرب إليه، وابتلاء واختباراً ليعرف الصادق من الكاذب والبرّ من الفاجر.

¹- سورة الأنفال (48) .

²- سورة الأنعام (43) .

³- رضا: تفسير المنار. (3 / 239) .

⁴- قطب: في ظلال القرآن. (1 / 549) .

ثالثاً : ذكرت الآية الكريمة ثلاثة أنواع من الشهوات، هي شهوة النساء ، وشهوة البنين ، وشهوة المال بكل أنواعه؛ سواء أكان ذهباً، أم فضة، أم خيلاً، أم أنعاماً، أم حرثاً، وهذه الخمسة تعد أمثلةً وأنواعاً من المال ، فقد يوجد غيرها عند بعض الأقوام مثل الحُلّ، والأوراق النقدية وغيرها ، وإنما ذكرها لانتشارها وكثرة التعامل بها عند الناس خاصة في ذلك الزمان .

والشهوات الثلاث ذكرتها الآية محذرة من اتباعها والاستغراق فيها؛ لشدة خطرها وفتكها بالناس، ولكونها الأكثر شهرة وانتشاراً، فلا يكاد يخلو منها قلب، وليس ذلك لحصرها، فقد يوجد غيرها؛ مثل شهوة الجاه، والخذ، والملك، وشهوة البطن، وغيرها .

رابعاً: بدأت الآية بالنساء؛ لأن الالتذاذ بهنّ أكثر، والاستئناس بهنّ أتم ، والفتنة بهنّ أشدّ. (1) وفي الحديث: " مَا تَرَكَتُ بَعْدِي فِتْنَةٌ أَضَرَّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النَّسَاءِ " (2). ويرى الباحث أن القرآن الكريم ذكر النساء من باب التغليب والمقصود شهوة الجنس؛ لأن النساء يشتهين الرجال أيضاً، والدليل على ذلك من القرآن فعل امرأة العزيز مع يوسف عليه السلام، ويدخل في شهوة الجنس كذلك فعل قوم لوط عليه السلام .

ثم ذكر البنين ، وخصّ الذّكر بالذّكر من باب التغليب، وإن كانت الإناث داخلة في ذلك؛ لأن وجه التمتع بالذكور ظاهر من حيث السرور والتكثر بهم إلى غير ذلك. (3)

ثم ذكر الأموال الكثيرة ، ويدل على ذلك تعبير القرآن " الفناطير المقنطرة " ، والقنطار اسم للكثير من المال - بغض النظر عن اختلاف العلماء في تحديد مقداره - فإذا جاء بصيغة

¹ - انظر : ابن كثير، إسماعيل القرشي(ت:774هـ): تفسير القرآن العظيم. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1388هـ - 1969م. (351/1)، والرازي: التفسير الكبير. (195/7).

² - البخاري، صحيح البخاري. كتاب النكاح، باب ما يتقى من شؤم المرأة. حديث رقم (5096). صفحة رقم (1085). ومسلم، صحيح مسلم. كتاب الرقاق. باب أكثر أهل الجنة الفقراء و أكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء. حديث رقم(6841،6840). صفحة (1342).

³ - انظر : الرازي: التفسير الكبير. (195/7)، ورضا: تفسير المنار. (241/3).

الجمع " القناطر " وأضيف إليها " المقنطرة " ، أفاد التأكيد والتضعيف ، كقولك ألوف مؤلفة ،
وأضعاف مضاعفة.(1)

خامساً: ذكر الله تعالى أن تلك الشهوات هي متاع الحياة الدنيا، ثم أخبر عباده المؤمنين أنه عنده
حسن المآب، وقال : " نُؤْتُوا وَوُوِي بِ ي بِ بِ ب ب ب ب ب " (2) "فقابل بين شهوات الدنيا وجزائه في الآخرة(الجنات)، والأزواج
المطهرة، ورضوان الله) .

" وفي هذا المتاع النظيف العفيف عوض كامل عن متاع الدنيا، وفيه زيادة؛ فإذا كان
متاعهم في الدنيا حرثاً معطياً مخصباً ، ففي الأخرى جنات كاملة تجري من تحتها الأنهار ،
وهي فوق هذا خالدة وهم خالدون فيها. لا كالحرث المحدود الميقات. وإذا كان متاعهم في الدنيا
نساء وبنين ففي الآخرة أزواج مطهرة .. وفي طهارتها فضل وارتفاع على كل شهوات الأرض
في الحياة. فأما الخيل المسومة والأنعام، وأما القناطر المقنطرة من الذهب والفضة، فقد كانت
في الدنيا وسائل لتحقيق متاع، فأما في نعيم الآخرة فلا حاجة إلى الوسائل لبلوغ الغايات. ثم
هناك ما هو أكبر من كل متاع .. هنالك " رضوان من الله ". " رضوان " .. بكل ما في لفظه
من نداوة ، وبكل ما في ظلّه من حنان ".(3)

سادساً: يقول الله تعالى في ختام الآية التي ذكر فيها ما أعدّه للمتقين من جنات وأزواج
ورضوان .. " □ □ □ " ، ثم ذكر أوصافهم بعدها في آيتين .. أوصاف العباد الذين يَسْتَعْلُونَ
على الشهوات، وَيُؤْتِرُونَ الآخرة على الدنيا.

¹ - انظر : الطبري، محمد بن جرير(ت:310هـ): جامع البيان في تفسير القرآن. ط3. بيروت: دار المعرفة. 1398هـ

- 1978م. (135-133/3) ، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم. (351/1).

² - سورة آل عمران (15) .

³ - قطب: في ظلال القرآن. (552/1) ، وانظر : الشعراوي: تفسير الشعراوي. (1325 - 1324/3) .

في الآية الأولى، وصفهم بأنهم يدعون الله ويقولون "بِإِذْنِ رَبِّهِمْ يَجِئُكُمُ الْمَغْفِرَةُ مِنْ غُلُبَتِهِمْ شَهْوَةً فَانْسَاقُوا وَرَاءَهَا فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، ثُمَّ هُمْ يَرْجُونَ اللَّهَ أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُمْ النَّارَ، وَفِي ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُمْ يَطْلُبُونَ عَوْنَ اللَّهِ لِيُعِينَهُمْ فِي تَهْذِيبِ شَهْوَاتِهِمْ ، لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ مَنْ تَحَكَّمَ بِهِ شَهْوَتُهُ قَادَتَهُ إِلَى النَّارِ .

وفي الآية الثانية، عدّ لهم خمسة أوصاف :

1- " الصابرين " والصبر عن الانقياد للشهوات ، والصبر على الاستمرار في تهذيبها وضبطها طيلة الحياة، مطلب ضروري للذين يريدون تهذيب شهواتهم وضبطها.

2- " الصادقين " والصدق مع الله، والصدق مع النفس مطلبان ضروريان كذلك؛ لأن بعض الناس قد يكون غارقاً في الشهوات، غير أنه يكذب على نفسه ويمنيها أنه من أحسن الناس ومن عباد الله المتقين، وما ذلك إلا لأنه يصلي أو يصوم، وهذا الزاد لا يكفي السائرين إلى الله، المرعدين تهذيب شهواتهم.

3- " القانتين " والقنوت: " لزوم الطاعة مع الخضوع "(2) وهذه صفة مهمة للذين يريدون تهذيب شهواتهم وضبطها؛ لأن من لا يخضع لله ولا يطيعه، لا ينفذ أوامره، وتهذيب الشهوات من أوامر الله، فالذي لا يقنط له ستقوده شهواته إلى الهاوية.

4- " المنفقين " والإنفاق وبذل الأموال المحببة إلى النفوس في سبيل الله، عاملٌ مساعدٌ ومهمٌ في تهذيب شهوة المال، التي يسيل لعاب كثير من الناس عند تحكّمها بهم فلا يملكون معها قراراً.

5- " المستغفرين بالأسحار " وتلك خاتمة أوصاف العباد الذين يستعلون على شهواتهم، وحق لها أن تكون خاتمة الصفات؛ فإن الاستغفار في الأسحار فعل المتقين؛ إذ لا يستطيع أحد أن يقوم من فراشه الوثير، في وقت يكون الناس فيه نياماً، لا يراه أحد من الخلق، يقوم ليصلي،

¹ - سورة آل عمران (16).

² - الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن. (413).

بقوله: " پ پ پ پ " فوصفهم باتباع شهوات أنفسهم المذمومة، وعمهم بوصفهم بذلك من غير وصفهم باتباع بعض الشهوات المذمومة، فإذا كان ذلك كذلك فأولى المعاني بالآية ما دلّ عليها ظاهرها دون باطنها الذي لا شاهد عليه من أصل، أو قياس، وإذا كان ذلك كذلك كان داخلاً في الذين يتبعون الشهوات اليهود، والنصارى، والزناة، وكل متبع باطلاً؛ لأن كل متبع ما نهاه الله عنه فمتبع شهوة نفسه".⁽¹⁾

ويرى الباحث- بعد ترجيحه لرأي الطبري رحمه الله- أن هذه الأقوال من باب اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد، ولأن الآية جاءت بلفظ من ألفاظ العموم (الذين)، فيندرج تحت هذا كل المتصفين باتباع الشهوات، من أي ملة كانوا، وفي أي زمان وجدوا، وفي أي مكان نزلوا، وفي أي أرض حلوا.

ثالثاً: بعد ذكر المقارنة بين ما يريده الله سبحانه ، وما يريده الذين يتبعون الشهوات، يقول تعالى: " ن ذ ن ت ت ت ت ت ت " (2).

فإنه يريد أن يخفف عن الناس في شرائعه وأوامره ونواهيه، وما يقدره لهم؛ لأنه خلق الإنسان ضعيفاً، فناسبه التخفيف لضعفه في نفسه، وضعف عزمه وهمته.⁽³⁾

والضعف - كما يُعرّفه الشعراوي - هو أن تستميله المغريات، ولا يملك القدرة على استصحاب المكافأة على الطاعة أو الجزاء على المعصية؛ لأن الذي تتفتح نفسه إلى شهوة ما، يستبعد - غالباً - خاطر العقوبة ، فالسارق لو استشعر قطع يده لما سرق... الخ⁽⁴⁾.

فالإنسان خلق ضعيفاً أمام الشهوات ، تستهويه وتستميله، فأراد الله أن يخفف عنه " وإرادة التخفيف واضحة ، تتمثل في الاعتراف بدوافع الفطرة ، وتنظيم الاستجابة لها ، وتصريف طاقتها في المجال الطيب المأمون المثمر ، وفي الجو الطاهر النظيف الرفيع دون أن يكلف الله

¹ - الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن. (19/5).

² - سورة النساء (28).

³ - انظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. (479/1).

⁴ - الشعراوي: تفسير الشعراوي. (2138/4).

عباده عنناً في كبتها حتى المشقة والفتنة ، ودون أن يطلقهم كذلك ينحدرون في الاستجابة لها بغير حد ولا قيد.

وكثيرون يحسبون أن التقيد بمنهج الله - وبخاصة في علاقات الجنسين - شاق ومجهد ، والانطلاق مع الذين يتبعون الشهوات مُيسر مريح ! وهذا وهم كبير. فإطلاق الشهوات من كل قيد ، وتحريّ اللذة - واللذة وحدها - في كل تصرف ، وإقصاء " الواجب " الذي لا مكان له إذا كانت اللذة وحدها هي الحكم الأول والأخير ، وقصر الغاية من التقاء الجنسين في عالم الإنسان على ما يطلب من مثل هذا الالتقاء في عالم البهائم ، والتجرّد في علاقات الجنسين من كل قيد أخلاقي ، ومن كل التزام اجتماعي. إن هذه كلها تبدو يسراً وراحة وانطلاقاً.. ولكنها في حقيقتها مشقة وجهد وثقلة ، وعقابيلها في حياة المجتمع - بل في حياة كل فرد - عقابيل مؤذية مدمرة ماحقة".(1)

رابعاً : ترتيب هذه الآيات العظيمة يدل على حكمة الله عز وجل، فقد قال أولاً: " ي ب ب ب □ " ليبيّر ، ثم قال : " أ ب ب ب ب ب " ليغفر ؟، ثم قال : " ن ذ ن ت ن ت " لبيسر.(2)

يقول الزمخشري: " يريد الله لبيبين لكم: أصله يريد الله أن يبين لكم، فزيدت اللام؛ مؤكدة لإرادة التبيين، كما زيدت في (لا أبا لك) لتأكيد إضافة الأب".(3)

ويقول الألوّسي: " وغوير بين الجملتين (يقصد الجملة الاسمية" والله يريد أن يتوب عليكم" و الجملة الفعلية " ويريد الذين يتبعون الشهوات ")؛ ليفرّق بين إرادة الله تعالى، وإرادة الزائغين".(4)

¹ - قطب: في ظلال القرآن. (326/2).

² - الشعراوي: تفسير الشعراوي. (2137/4) بتصرف.

³ - الزمخشري: الكشاف. (521 / 1).

⁴ - الألوّسي، شهاب الدين السيد محمود البغدادي(ت: 1270هـ): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. بيروت: دار إحياء التراث العربي. (14/5).

يدل على خوفهم من الله ، و اتباع هؤلاء لشهواتهم يدل على عدم خوفهم منه سبحانه.(1) فما أشدّ المفارقة ! وما أبعد الشبه بين هؤلاء وأولئك ! (2)

ثانياً : وصف الله الخلف الذين جاءوا بعد الأنبياء عليهم السلام بأنهم أضعوا الصلاة، واختلف العلماء في معنى الإضاعة ، فقال القرظي (3)، وابن زيد والسدي : هو الجحود والترك بالكليّة، وقال ابن مسعود، وعمر بن عبد العزيز، ومسروق (4) والقاسم بن مخيمرة (5) : هو تضييع الوقت وتأخير الصلاة.(6)

يقول الشوكاني رحمه الله: " والظاهر أن من أخر الصلاة عن وقتها ، أو ترك فرضاً من فروضها، أو شرطاً من شروطها، أو ركناً من أركانها، فقد أضعها ، ويدخل تحت الإضاعة من تركها بالمرة، أو جردها دخولاً أولاً " .(7)

وقد يرجح المرء هذا الرأي لأول وهلة، غير أنه إذا استمر في قراءة الآيات وتفسيرها فسيغيّر رأيه ، فالشوكاني يقول بعدها: " وفي هذا الاستثناء – يقصد قوله تعالى : "كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ وَالْحَقُّ وَالصَّلَاةُ أَكْبَرُ" (8) ، دليل على أن الآية في الكفرة لا في المسلمين " .(9) والذي

¹ - انظر: الرازي: التفسير الكبير. (235/21)

² - انظر: قطب: في ظلال القرآن. (443/5).

³ - هو محمد بن كعب بن سليم، الإمام العلامة الصادق، القرظي، المدني، من حلفاء الأوس، وكان أبوه كعب من سبي بني قريظة. توفي سنة ثمان ومئة، وقيل غير ذلك. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء. (5 / 378).

⁴ - هو مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية، الإمام، القدوة، العَلَم، أبو عائشة، الوداعي، الهمداني، الكوفي، عداده في كبار التابعين وفي المخضرمين. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء. (5 / 23).

⁵ - هو القاسم بن مخيمرة، أبو عروة الهمداني، الكوفي، نزيل دمشق، الإمام، القدوة، الحافظ. مات في خلافة عمر بن عبد العزيز سنة مئة أو إحدى ومئة. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء. (5 / 505).

⁶ - انظر: الطبري: جامع البيان. (74/16). والرازي: التفسير الكبير. (235/21) ، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم.

(127/3) ، والشوكاني، محمد بن علي بن محمد(ت:1250هـ): فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية من علم التفسير. ط3. بيروت: دار الفكر. 1393هـ - 1973م. (339/3).

⁷ - الشوكاني: فتح القدير. (339/3).

⁸ سورة مريم (60).

⁹ - الشوكاني: فتح القدير. (339/3).

واختلف العلماء في تحديد ماهية الغي على أقوال: فمنها قول ابن عباس: إنه الخسران، وقول قتادة⁽¹⁾: إنه الشر، وقول ابن مسعود: إنه واد في جهنم، وقول الزجاج: إنهم يلقون جزاء الغي⁽²⁾ أو غياً عن طريق الجنة.⁽³⁾

قال الرازي بعد ذكر هذه الأقوال: " والوجهان الأولان أقرب ، فإذا كان في جهنم موضع يُسمّى بذلك جاز، ولا يخرج من أن يكون المراد ما قدمنا؛ لأنه المعقول في اللغة ".⁽⁴⁾

ويقول سيد قطب رحمه الله: " ومن ثم يتهدد السياق هؤلاء الذين خالفوا سيرة آبائهم الصالحين ، ويتهددهم بالضلال والهلاك " فسوف يلقون غياً " ، والغى : الشرود والضلال ، وعاقبة الشرود الضياع والهلاك".⁽⁵⁾

واختار ابن كثير القول الأول فقال: " سيلقون غياً: أي خساراً يوم القيامة ".⁽⁶⁾

والذي يطمئن إليه الباحث أن يُجمع بين الأقوال جميعها ، فالذي يضيع صلاته ويتبع شهواته، فسوف يلقى شراً وخسراناً وضلالاً في الدنيا ، وسينال جزاء هذه الخسارة يوم القيامة ، بأن يلقى غياً عن طريق الجنة ، ويصلى جهنم ، التي قد يكون فيها موضع خاص بأمثال هؤلاء يُسمّى " الغي " ، ومما يشير إلى ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم: " حفت الجنة بالمكاره،

¹ - هو قتادة بن دعامة بن قنادة بن عزيز السدوسي، حافظ العصر، قدورة المفسرين والمحدثين، الضرير، الأكمه، كان من أوعية العلم، وكان يرى القدر. توفي سنة سبع عشرة ومئة وقيل غير ذلك. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء. (27/6).

² - انظر: الزجاج، أبو اسحاق ابراهيم بن السري(ت : 311 هـ): معاني القرآن وإعرابه. تحقيق عبد الجليل شلبي وتخرّيج علي جمال الدين محمد. القاهرة: دار الحديث. 1424 هـ - 2004 م. (3 / 274) .

³ - انظر: الطبري: جامع البيان.(75/16) ، والزمخشري: الكشاف.(514/2) ، و الرازي: التفسير الكبير.(235/21) ، و ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. (128/3) ، والشوكاني: فتح القدير. (339/3) .

⁴ - الرازي: التفسير الكبير. (236/21) .

⁵ - قطب، سيد: في ظلال القرآن. (443/5) .

⁶ - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. (128/3) .

وحفت النار بالشهوات ⁽¹⁾ "أي أن النار محاطة بسياج الشهوات، فمن اخترقه واتبع شهواته دخلها.

رابعاً : إن الله لا يقنط عباده أبداً ، بل يفتح لهم أبواب رحمته على مصاريحها لمن أراد الولوج، وكثيراً ما تجد في آيات الكتاب العزيز أن الله عز وجل يستثني التائبين بعد ذكر المعاصي من العقوبة والذم، وقد فعل ذلك بعد ذكر عقوبة الزنا، والقذف، والسرقه، وحاد الحرابه، وغير ذلك كثير. ⁽²⁾

ثم ذكر الله أنه أعدّ لهؤلاء التائبين المتقين المحافظين على الصلاة، المهدبين للشهوات الجنة، قال تعالى: "يى بي □ □ □ □ □". ⁽³⁾

وفي ختام هذا المبحث، يوجز الباحث أهم النتائج التي توصل إليها:

1 ذكر مصطلح الشهوة ومشتقاته في القرآن الكريم ثلاث عشرة مرة، ودار معناه مع مفهومه اللغوي.

2 اهتم القرآن الكريم بتهديب الشهوات في مكة والمدينة؛ لأن العبرة بالقلوب والأفئدة، لا بالأزمنة والأمكنة.

3 الشهوات المذكورة في القرآن الكريم ثلاثة، هي النساء والبنين والأموال، وتتنوع الأخيرة إلى ذهب وفضة وخيل وأنعام وحرث.

4 مزين الشهوات في النفوس هو الله تعالى؛ لأن بها استمرار الحياة وإعمار الكون، ولأنها قد تكون وسائل للأخرة، وتزيينها أيضاً هو من باب الابتلاء.

5 "متبعو الشهوات" لفظ عام يشمل كل من ينساق وراء الشهوات وينغمس فيها.

¹ - مسلم: صحيح مسلم . كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها . باب صفة الجنة. حديث رقم (7024). صفحة (1389).

² - انظر : سورة النور (1- 5) ، والمائدة (33- 39) .

³ - سورة مريم (63)

(6) جزء متبعي الشهوات هو الغي، ويعم معناه الخسارة والهلاك والميل عن الجنة إلى النار، وقد يكون موضع في النار يسمى بذلك.

(7) جاء ذكر الشهوات في سياق الأحكام والجهاد والعبادات .

آثار اتباع الشهوات

بعد الحديث عن الشهوة في اللغة والاصطلاح والسياق القرآني، ومفهوم تهذيب الشهوات، لا بد للباحث أن يتطرق في ختام هذا الفصل إلى آثار اتباع الشهوات؛ حتى يتبين القارئ الخطر الداهم الكامن وراء الانغماس في الشهوات، فيحذر منها، ويحذر غيره.

والذي يتأمل واقع المجتمعات الغربية والعربية، يجد من آثار اتباع الشهوات، والاستغراق فيها، ما يعتصر القلوب، ويُدمي العيون، فقد بلغ اتباع الشهوات مبلغاً لا يتصوره عقل حكيم، ولا قلب سليم، ويوجز الباحث هذه الآثار بالآتي:

أولاً: شيوع التبرج والسفور، وكثرة الفواحش والمنكرات، وقلة الحياء والغيرة والنخوة والاحتشام.

ثانياً: انتشار المسلسلات الهابطة، والأفلام الساقطة، والأغاني المثيرة للشهوة، والمجلات الخليعة المليئة بالصور العارية، وآلاف المواقع الإباحية على الشبكة العنكبوتية(الانترنت)، ومئات الفضائيات المتخصصة بفنون الرقص والغناء والخلاعة.

ثالثاً: إباحة الاختلاط بين الجنسين في نواحي المجتمع المختلفة، من مدارس، وجامعات، وشركات، ومؤسسات.

رابعاً: ضعف النسل، وانتشار الأمراض التناسلية، يقول أبو الأعلى المودودي: الحق أن مثل هذه البيئة بما تمتاز به من شدة الميلان الجنسي والتّهيج الدائم والتحرك المستمر، لا بد أن يضعف فيها النسل، ويفسد نموّ القوى البدنية والعقلية، وتضمحلّ قواهم الجسدية، وتتوزع الأفكار، وتنتشر الأذهان، وتكثر الفواحش، وتعمّ الأمراض السارية الفتاكة من سيلان و زهري وإيدز وغيرها، ويخرب النظام العائلي، وتفسد الرابطة الزوجية، فتتفكك الأسر، وتختلط

الأنساب، وتضطرب العواطف ، وتذهب في المرأة عاطفة الأمومة، ويترتب على ذلك قيام الحركات المختلفة لمنع الحمل، وإسقاط الجنين، وقتل الأولاد.(1)

خامساً: امتلاء المدن بالمصارف الربوية، وتحليل الربا في أعين الناس، وتسميته بغير اسمه الشرعي؛ إذ سموه (فائدة) ،وأدى ذلك إلى وصول الربا إلى عقر دار جُلِّ الناس ومعظمهم.

سادساً: انقسام المجتمع إلى طبقات، وانتشار الحقد بينها، يقول الأستاذ محمد قطب: شهوة المال سبب كل اضطراب في المجتمع حين تترك بلا حدود ، والفرد الذي تتملكه شهوة المال يؤدي المجتمع إيذاءً شديداً لا يقف عند حد ، ويجرم في حقهم جريمة لا تغفرها الأرض ولا السماء. ذلك لأنه بأنانيته المفرطة يحرم المئات والألوف من حق الإنسانية النظيفة حساً ومعنى ، لأن الفقر لا يقف ضرره عند حرمان الجسد مطالبه الرئيسية من طعام وشراب ومسكن محترم ، بل يتعدى ذلك إلى إفساد مشاعر الفقير وأفكاره والهبوط بها عما ينبغي للإنسانية أن تهدف إليه ، فهو إما أن يستذل للأغنياء ويفنى فيهم لإرضاء شهواتهم الداعرة - كما يصنع الزناة والبغايا للحصول على لقمة العيش - وإما أن يحقد عليهم ، والحقد شعور غير نظيف من الوجهة الإنسانية ، فضلاً عما ينجم عنه من اضطرابات خطيرة في المجتمع ، لا تصيب الذين ظلموا منه خاصة. (2)

سابعاً: تعلق قلوب الآباء بأبنائهم، وتقديمهم على طاعة الله والرسول، وجمع المال لهم بأية وسيلة، والانشغال عن تربيتهم على القرآن والسنة.

ثامناً: آثار اتباع الشهوات على دين المسلم وأخلاقه، فهي تشغله عن دينه وأخراه ، وتجعله دائم الفكر فيها، فتتسبب رقابة الله عليه، وتستعبده فيعبدها من دون الله، ويصير متبعاً لأهوائه وشهواته، وتجعله أنانياً لا يفكر بإخوانه ، والمهم عنده إرضاء شهوات نفسه ، وتقوده

¹ - المودودي: الحجاب. (146 - 147) بتصرف ، وانظر : قطب، محمد: جاهلية القرن العشرين. مكتبة وهبة.

(179 - 219).

² - قطب: الإنسان بين المادية والإسلام. (99 - 100) بتصرف.

إلى ترك الصلاة وإضاعتها ، وتجعل متاع الدنيا في قلبه أكبر همّه، وتحرمه لذّة مناجاة الله ، وتحجبه عن الله وعن طاعته.

هذه بعض الآثار الخطيرة لشهوات الجنس والمال والبنين، على دين الناس وحياتهم ومجتمعاتهم ، ولم يكن الهدف استقصاءها، وإنما غرض الباحث إلقاء نظرة عامة عليها؛ لإدراك الخطر المحدق بالناس، والحيلولة بينهم وبينها، ومعرفة أهمية دراسة هذه المواضيع المعالجة لأمراض النفوس، والمهذبة لها.

وحتى يبقى للأمل مكان في القلوب بعد وصف الواقع المؤلم ، لا بدّ من القول: إن هناك - في عصرنا الحاضر - نماذج بشرية رائعة استعلت على شهواتها وضبطتها، بتوفيق الله لها، وإرادة فيها صلبة، ويقف على رأس هؤلاء الذين ضحوا بأرواحهم وأموالهم وقدموها رخيصة في سبيل الله، " الشهداء " رحمة الله عليهم، وهذه النماذج من آثار الصحوة الإسلامية التي بدأ نجمها بالصعود بفضل الله.

يقول الشيخ سعيد حوى رحمه الله: " ومع وجود هذه الأسباب، ومع وجود هؤلاء الناس، كتبت هذه السلسلة، وأعتبر كتابتي لها فريضة، فنحن في عصر ماديّ، وهذا يقتضي منا أن نقابله بفكر مكافئ وبحيوية روحية عالية، ونحن في عصر شهواني جاهلي، وهذا يقتضي منا أن نقابله بأشواق روحية راقية مع تأمين الشهوات المباحة، وإبقاء منافذها مفتوحة، ونحن في عصر قلما يوجد فيه من يضبط نفسه على مقتضى الأدب الإسلامي الرفيع، وهذا يقتضي منا إلحاحاً على التربية الإسلامية الرفيعة".⁽¹⁾

ويقدم الباحث أطروحته هذه ليكون من المشاركين في صنع النهضة المرجوة لهذا الدين، وليعطي بناء الصحوة الإسلامية، وليسهم في تربية النفوس وصقلها على تهذيب الشهوات وضبطها، ليرضى عنها الله عز وجل، وهذا أمل كل مؤمن ومسلم في هذه الحياة.

¹ - حوى، سعيد(ت:1989م): تربيّتنا الروحية. ط8. القاهرة: دار السلام. 1427هـ - 2006م . (7) .

الفصل الثالث

منهج القصة القرآنية في تهذيب شهوة الجنس

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: الدعوة إلى اللباس وستر العورة.

المبحث الثاني: الدعوة إلى غض البصر وعدم الاختلاط.

المبحث الثالث: الحث على الزواج.

المبحث الرابع: التحذير والتهديد والذم والإتكار على متبعي شهوة الجنس.

المبحث الخامس: الاستعانة بالله واللجوء إليه.

المبحث السادس: ضرب النماذج الإيجابية والسلبية.

تمهيد :

عرض الباحث في الفصل السابق مفهوم الشهوة، والتهديب في اللغة والاصطلاح، ودلالات الآيات التي ورد فيها مصطلح " الشهوة " بمشتقاتها، وأثار اتباع الشهوات على الدين والنفس والمجتمع. ويبدأ في هذا الفصل بدراسة القصص القرآني المتحدث عن شهوة الجنس؛ ليستنبط المنهج الذي يساعد الناس في تهديب هذه الشهوة ليطبقوه في حياتهم، إرضاءً لله وامتناناً لأمره.

وقصص القرآن هذا يدعو إلى ستر العورة، وغيض البصر، وعدم الاختلاط، وإلى الزواج ليكون أصلاً لتحصين الفرج ، ويحذر من فتنة الشيطان والنفس الأمارة بالسوء ، وينكر على متبعي الشهوات المنزلقين في مخاطرها ، ويدعو المؤمنين إلى الاستعانة بالله واللجوء إليه ليعينهم على تهذيبها ، ويهدد بالعقوبة في الدنيا والآخرة لمن لا يتحكم بشهوته فيرتكب الفواحش.

كما أنه يضرب للناس نماذج إيجابية لرجال ونساء، استعلوا على شهواتهم فكانوا قدوة حسنة للمتوسمين ، وأخرى سلبية لمن غرقوا في شهواتهم للتحذير منهم ومن أعمالهم.

ومن الملاحظ في قصص القرآن الذي يعرض قصص " الجنس " أنه لا يعرضها لإثارة تلهذ القارئ أو السامع بمشاعر الجنس المنحرفة ، كما تفعل القصص التي تُسمى " واقعية " في المذاهب الحديثة الضالة، إنه يعرضها كما ينبغي أن تعرض، لحظة ضعف لا لحظة بطولة. ولحظة الجنس لا تستأهل الوقوف عندها بأكثر من مجرد الذكر ، إنها ليست هي الحياة ، إنها عارض يُعرض ويقضي. ليفسح المجال لأهداف الحياة العليا الجديرة بالتحقيق، إنها لا تستحق أن تروى بغير التفسير الذي يثير منها الاشمئزاز.(1)

لذلك فإن قارئ القرآن حينما يتلو آيات قصص القرآن الذي يتحدث عن شهوة الجنس، لا تتحرك في نفسه كوامن الشهوة ، ولا نوازع الميل إلى الجنس الآخر؛ لأن القرآن يريد تهديب تلك الشهوة وليس إثارتها.

¹ - قطب، محمد: منهج التربية الإسلامية. القاهرة: دار القلم. (243) بتصرف .

وقصص القرآن الذي اعتمد عليه الباحث في استنباط منهجه في تهذيب شهوة الجنس هو:

1- قصة آدم وحواء عليهما السلام مع إبليس، في سورة الأعراف (19-27)، وسورة طه (116-122).

2- قصة لوط عليه السلام مع قومه، في سورة الأعراف (80-84) وسورة هود (77-83) وسورة الحجر (61-77) وسورة الشعراء (160-175) وسورة النمل (54-58) وسورة العنكبوت (28-35).

3- قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز في سورة يوسف (23-34).

4- قصة موسى عليه السلام في مدين مع الشيخ وابنتيه في سورة القصص (22-28).

5- قصة مريم عليها السلام عندما تمثل لها الملك بشراً سوياً في سورة مريم (16-35).

ولا بد للباحث من الإشارة إلى قضية مهمة قبل البدء بتفصيل المنهج المستنبط ، وهي أن قصص القرآن منه ما يدعو إلى تهذيب الشهوات ويوصل المنهج بطريقة مباشرة ، ومنه ما يُستنبط استنباطاً بطريقة غير مباشرة، تعتمد بالدرجة الأولى على عمق التدبر للقرآن ، وعلى أسلوب تفكير الباحث ، وهو الأكثر. والمنهج الذي يسجله القصص القرآني بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، يعتمد بشكل كامل على مستوى الباحث العلمي والفكري والإيماني ، وإنه يرجو من الله العون والسادد.

والقرء ، وليتزينوا به أيضاً، وتوضح حكمة الله تعالى في عدم جعل الناس عراة، وتبين أن كشف العورات خطيئة وكبيرة، يفعلها بعض الناس اليوم كما فعلها من قبلهم العرب الجاهليون، لما كانوا يطوفون بالبيت عراة.

وقد ثبت في صحيح مسلم رحمه الله عن ابن عباس، قال كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة فنقول من يُعيرني تطوّفاً تجعله على فرجها وتقول اليوم يبدو بعضه أو كله فما بدأ منه فلا أمله فنزلت هذه الآية: "پ پ پ پ پ پ پ پ پ" (1)(2)

والذي ينظر إلى هذا الفعل الشنيع يستغرب منه جداً؛ لتناقضه مع ما يدعونه من تعظيم البيت، والتسابق في سدائه وعمارته وسقاية الحاج ، والحق أنها طريقة تنفر منها الفطرة السليمة المستقيمة في حق الرجال، وتزداد قبحاً وشناعة في حق النساء، وبخاصة عندما يطوفون معاً مختلطين.

ولعل ذكر قصة آدم عليه السلام حينئذ في مكة؛ للإيدان بأن انكشاف العورة أول سوء أصاب الإنسان من قبل الشيطان ، وأنه أغواهم كما أغوى أبويهم فليحذروا. (3)

وفي قوله تعالى في سورتي الأعراف وطه: "ي □ □ □ □ □ □" (4) حكاية لابتداء عمل الإنسان لستر نقائصه ، وتحيلته على تجنب ما يكرهه ، وعلى تحسين حاله بسبب ما يخيل إليه خياله ، وهذا أول مظهر من مظاهر الحضارة ، أنشأه الله في عقل أصلي البشر ، فإنهما لما شعرا بسواتهما، وحدث في نفوسهما الشعور بقبح بروزها ، فشرعا يخفيانها عن أنظارهما

¹ - سورة الأعراف (31)

² - مسلم: صحح مسلم. كتاب التفسير، باب في قوله تعالى: "پ پ پ پ پ پ پ پ پ". حديث رقم (7445)، صفحة 1479.

³ - انظر: البيضاءوي ، عبد الله بن عمر بن محمد(ت:685هـ) : أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير

البيضاوي . بيروت : مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع (20 / 6) ، و أبا السعود ، محمد بن محمد

العمادي(ت:951هـ) : تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم . بيروت : دار

إحياء التراث العربي (2 / 222) .

⁴ - سورة الأعراف (22) ، سورة طه (121).

وهذه الآية مع أخواتها توحى بأهمية هذه المسألة وعمقها في الفطرة البشرية ، فاللباس وستر العورة زينة للإنسان، وستر لعوراتهِ الجسدية ، كما أن التقوى لباس وستر لعوراتهِ النفسية. (1)

يقول الإمام الطبري في تفسيره بعد أن ذكر أقوال المفسرين في معنى قوله تعالى: "لباس التقوى" : " وأولى الأقوال بالصحة في تأويل قوله (ولباس التقوى) استشعار النفوس تقوى الله في الانتهاء عما نهى الله عنه من معاصيه ، والعمل بما أمر به من طاعته ، وذلك يجمع الإيمان ، والعمل الصالح ، والحياء ، وخشية الله ، والسمت الحسن؛ لأن من اتقى الله كان به مؤمناً ، وبما أمره عاملاً ، ومنه خائفاً ، وله مراقباً ، ومن أن يرى عندما يكرهه من عباده مستحيماً ، ومن كان كذلك ظهرت آثار الخير فيه ، فحسن سمته وهديه ، ورؤيت عليه بهجة الإيمان ونوره. وإنما قلنا : عنى بلباس التقوى : استشعار النفس والقلب ذلك ؛ لأن اللباس ادّراع ما يلبس ، واحتباء ما يكتسى ، أو تغطية بدنه أو بعضه به ، فكل من ادّرع شيئاً أو احتبى به حتى يرى هو أو أثره عليه ، فهو له لابس ، ولذلك جعل جلّ ثناؤه الرجال للنساء لباساً، وهن لهم لباساً ، وجعل الليل لعباده لباساً ". (2)

لذلك فلباس التقوى لا يقل أهمية عن لباس الجسد الساتر للعورة ، بل هو خير منه لمن أراد أن يذكّر أو أراد شكوراً، قال تعالى: " **يَجِيجِيْدِيْدَتْدَتْدَتْدُ**". (3)

ويقْتبس الباحث كلاماً للشهيد سيد قطب حيث يقول: " والفطرة السليمة تنفر من انكشاف سواتها الجسدية والنفسية ، وتحرص على سترها ومواراتها .. والذين يحاولون تعرية الجسم من اللباس ، وتعرية النفس من التقوى ، ومن الحياء من الله ومن الناس ، والذين يطلقون أقلامهم وألسنتهم وأجهزة التوجيه والإعلام كلها لتأصيل هذه المحاولة - في شتى الصور والأساليب الشيطانية الخبيثة - هم الذين يريدون سلب " الإنسان " خصائص فطرته ، وخصائص " إنسانيته

1 - قطب : في ظلال القرآن (492/3). بتصرف.

2 - الطبري : جامع البيان (112/8).

3 - سورة الأعراف (26).

" التي صار إنساناً. وهم الذين يريدون إسلام الإنسان لعدوه الشيطان وما يريده به من نزع لباسه وكشف سواته! وهم الذين ينفذون المخططات الصهيونية الرهيبة لتدمير الإنسان وإشاعة الانحلال فيها لتخضع لملك صهيون بلا مقاومة، وقد فقدت مقوماتها الإنسانية. إن العري فطرة حيوانية ، ولا يميل الإنسان إليه إلا وهو يرتكس إلى مرتبة أدنى من مرتبة الإنسان. وإن رؤية العري جمالاً هو انتكاس في الذوق البشري قطعاً". (1)

ويخلص الباحث بعد هذا العرض إلى التأكيد على اهتمام قصص القرآن بمسألة اللباس وستر العورة، بصفتها مظهراً مهماً يساعد المسلم على تهذيب شهوة الجنس المكونة فيه ، فإذا ما ستر المسلم والمسلمة جسديهما، ولم يبرزتا مفاتنهما، والتزمتا أمر الله بعدم كشف العورة، أو أي جزء منها، فإن ذلك يساعد على غض البصر، ويقلل من الطموح إلى الاختلاط بالجنس الآخر ، وهذا حديث المبحث الثاني إن شاء الله تعالى.

المبحث الثاني

الدعوة إلى غض البصر وعدم الاختلاط

دعا قصص القرآن إلى تغطية الجسد باللباس الساتر للعورة بطريقة مباشرة لا تحتاج إلى كثير تأمل، ويرى الباحث أن الهدف الرئيس من ذلك هو منع الرجال والنساء من النظر بعضهم إلى بعض بشهوة ، ومنع الاختلاط الذي يؤدي إلى الفساد والفتنة. ويبدأ بسرد الآيات التي يستطيع أن يستنبط منها أهمية غض البصر وعدم الاختلاط، بصفتها وسيلتين ضروريتين في تهذيب شهوة الجنس.

ففي قصة آدم وحواء عليهما السلام يقول تعالى: " ي □ □ □ □ " (2)، ويقول أيضاً: " ك ك ك ك ك ك ك ك ". (1)

¹ - قطب : في ظلال القرآن (493/3).

² - سور الأعراف (22) ، وسورة طه (121).

وأما موسى عليه السلام الذي لم يطلب أجراً على سقيه ، ولم يتحدث مع المرأتين بأكثر من كلمتين " ما خطبكما " ، فهو عفيف طاهر أمين ، ومما يدلّ على ذلك أن الشيخ الكبير بعث بنتاً واحدة من بناته لتناديه، وأمنه عليها وعلى السير معها طوال الطريق.

ومهما يكن من أمر ، فالمبحث هذا يتلخّص في أن قصص القرآن دعا إلى غض البصر وإلى عدم الاختلاط بين الرجال والنساء ، بأسلوب جميل وشائق، يعطي العبرة والعظة، ولا شك في أن هذين العنصرين منطلقان أساسان في تهذيب شهوة الجنس ، والحق الذي ينبغي أن يقال: إن كل بلية وفضيحة مبدؤها النظر ، فمن غض بصره استراح وأراح.

المبحث الثالث

الحث على الزواج

أشار الباحث فيما مضى إلى ركائز رئيسة من منهج القصة القرآنية في تهذيب شهوة الجنس ، وهي الدعوة إلى اللباس وستر العورة ، وإلى غض البصر وعدم الاختلاط.

ويرى الباحث أن هذه الركائز لها أهمية كبيرة تساعد في التحكم بشهوة الجنس وضبطها، إلا أن الحل الأساسي المعين في تهذيب شهوة الجنس هو الزواج ، فهو أغض للبصر وأحصن للفرج⁽¹⁾ ، وهو الذي يساعد على ستر العورة أيضاً ، وبالزواج يشبع المرء شهوته بالحلال، لذا فهو الأصل الذي يعين المسلم على ترك الزنا ومقدماته.

¹ - مصداقاً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه عبد الله بن مسعود قال : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء". البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب :قول النبي من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، حديث رقم (5065 ، 5066) ، صفحة1079 ، و كتاب الصوم ، باب : الصوم لمن خاف على نفسه العزوبة .
حديث رقم (1905) ، صفحة(391) .ومسلم ، صحيح مسلم ، كتاب النكاح ، باب: من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، حديث رقم (3288 ، 3289 ، 3290) ، صفحة(650) .

يقول الشيخ عبد الحميد كشك في كتابه (المعالجة الإسلامية للشهوات): " إن الزواج هو العلاج الأصيل لشهوة الجنس، وكل ما ذكرناه وسنذكره هو العلاج البديل، ولن يغني الفرع عن الأصل. ولكن وضعت البدائل الأخرى في حالة انتظار الظروف المواتية للزواج، من بلوغ السن المناسبة، وتوفير القدرة المالية، والزوجة الصالحة". (1)

وفي القصص القرآني ما يدعو إلى ذلك صراحةً؛ فهذا سيدنا لوط عليه السلام الذي بعثه الله إلى القوم الذين يأتون الرجال شهوة من دون النساء، يقول لهم في أكثر من موضع من كتاب الله " ه ه ه ه ه " (2)، ويكرر عليهم ذلك " ب ب ب ب ب ب ب " (3).

يريد لوط عليه السلام أن يوجه قومه إلى الفطرة، وأن يرشدهم إلى الزواج فهذا أزكى وأطهر مما يقومون به.

" ولوط النبي لا يعرض بناته على هؤلاء الفجار ليأخذوهن سفاحا، إنما هو يلوح لهم بالطريق الطبيعي الذي ترضاه الفطرة السليمة، لينبه فيهم هذه الفطرة. وهو يعلم أنهم إن تابوا إليها فلن يطلبوا النساء سفاحا، فهو مجرد هتاف للفطرة السليمة في نفوسهم لعلها تستيقظ على هذا العرض الذي هم عنه معرضون ". (4)

دعا لوط قومه إلى الأصل الذي يجب عليهم أن يرجعوا له، وترك شذوذهم الجنسي المقيت، دعاهم إلى الزواج لأن هذا هو الأمر الطبيعي لتفريغ الشهوة عند كل من الرجل والمرأة. وهذه الدعوة -كما تقال للشاذين جنسياً- فهي تُقال كذلك لمن وقع في الزنا أو كاد، فالزواج هو الذي أحله الله، وأما السفاح فحرمه، ومن فعل المشروع وخالف المحذور عف نفسه، وحصن فرجه، ووقى جسده من الأمراض التناسلية الخبيثة التي تنتج عن الشذوذ والزنا.

1 - كشك، عبد الحميد (ت:1996م): المعالجة الإسلامية للشهوات. المكتبة التوفيقية . (23).

2 - سورة هود (78) .

3 - سورة الحجر (71) .

4 - قطب : في ظلال القرآن (5 / 204) .

وعرض عمر بن الخطاب ابنته حفصة على عثمان وأبي بكر رضي الله عنهم أجمعين. (1)

لذا فمن الحسن والمستحب عرض الرجل وليته ، والمرأة نفسها على الرجل الصالح اقتداءً بالسلف الصالح رضي الله عنهم. (2)

ويرى الباحث أنه من الجدير بالذكر قول سيد قطب، الذي يصف فيه الواقع بناء على ما فهم من قصة موسى عليه السلام مع الشيخ وابنتيه.

يقول : وهكذا في بساطة وصراحة عرض الرجل إحدى ابنتيه من غير تحديد ، وفي غير تخرج ولا التواء. فهو يعرض نكاحاً لا يُجمل منه ، يعرض بناء أسرة وإقامة بيت وليس في هذا ما يجمل، ولا ما يدعو إلى التخرج والتردد والإيماء من بعيد. والتصنع والتكلف مما يشاهد في البيئة التي تتحرف عن سواء الفطرة ، وتخضع لتقاليد مصطنعة باطلة سخيفة ، تمنع الوالد أو ولي الأمر من التقدم لمن يرتضي خلقه ودينه وكفايته لابنته أو أخته أو قريبته ، وتحتم

وسلم : وما تصنع بإزارك، إن لَبِسْتَهُ لم يكن عليها منه شيء، وإن لَبِسْتَهُ لم يكن عليك منه شيء ، فجلس الرجل حتى إذا طال مجلسه قام فراه النبي صلى الله عليه وسلم فدعاه أو دعي له فقال له : ماذا معك من القرآن ؟ فقال معي سورة كذا وسورة كذا، لسور يعددها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أملكناكها بما معك من القرآن". البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب : عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح ، حديث رقم (5121) ، صفحة (1089).

¹ - عن عبد الله بن عمر " أن عمر بن الخطاب حين تأيمت حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السهمي ، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوفي بالمدينة ، فقال عمر بن الخطاب : أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة فقال : سأنظر في أمري فلبثت ليالي ، ثم لقيني فقال : قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا. قال عمر : فلقيت أبا بكر الصديق فقلت : إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر ، فصممت أبو بكر فلم يرجع إلي شيئاً ، وكنت أوجد عليه مني على عثمان ، فلبثت ليالي ، ثم خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنكحتها إياه ، فلقيني أبو بكر فقال : لعلك وجدت علي حين عرضت علي حفصة فلم أرجع إليك شيئاً ؟ قال عمر : قلت : نعم ، قال أبو بكر : فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت علي إلا أنني كنت علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكرها ، فلم أكن لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو تركها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلتها". البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير ، حديث رقم (5122) ، صفحة (1089).

² - انظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن (13 / 271) ، والزحيلي ، وهبة : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. ط1. بيروت: دار الفكر المعاصر. 1411 هـ - 1991م . (20 / 88) .

المبحث الرابع

التحذير والتهديد والذم والإنكار على متبعي شهوة الجنس

يتحدث الباحث في هذا المبحث عن أسلوب تربوي ضمن منهج القصة القرآنية في تهذيب الشهوة الجنسية، فالتحذير والتهديد والذم والإنكار هي أساليب وقائية ساقها القرآن الكريم ليصرف الناس عن الانسياق وراء الشهوات، وليخوفهم من اتباعها، وليربيهم على بغضها وكرهها، وليصونهم من الوقوع في آثراها، ولينجيهم مما قد يقع عليهم من عذاب إذا انغمسوا فيها.

فجائب التحذير والتهديد يقي من الوقوع في الفواحش، لمن يفكر في عواقب الأمور، ويخاف على نفسه أن يحل به عذاب الله. وقد حذر القرآن الكريم في قصصه من الشيطان، ومن النفس الأمارة بالسوء، ومن متبعي الشهوات.

فحذر من الشيطان الذي وسوس لأدم وحواء عليهما السلام، فنزع عنهما لباسهما ليريهما سواتهما، وأخرجهما من الجنة، وأهبطهما إلى الأرض، وقال معقباً على القصة، ومحذراً بني آدم من فتنة الشيطان ومكره: " ژ ژ ژ ژ ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ (1) ."

يقول الشنقيطي في (أضواء البيان): " حذر تعالى في هذه الآية الكريمة بني آدم أن يفتنهم الشيطان كما فتن أبويهم، وصرح في موضع آخر أنه حذر آدم من مكر إبليس قبل أن يقع فيما وقع فيه، ولم ينجه ذلك التحذير من عدوه، وهو قوله تعالى: " چ چ چ چ چ چ چ د د د د (2) ". (3)

¹ - سور الأعراف (27).

² - سورة طه (117).

³ - الشنقيطي: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. 1386هـ-1967م. (265/2).

المبحث الخامس

الاستعانة بالله واللجوء إليه

إن جميع الوسائل والأساليب السابقة تعين على تهذيب شهوة الجنس ، غير أن المسلم لا بد له من ملجأ يأوي إليه ، وركن يستعين به في هذا الطريق الطويل ، يأخذ بيديه، ويثبت فؤاده، ويربط على قلبه ، ويعينه على ضبط شهوته والتحكم بها ، والله خير من تُوكَّل عليه ، ولُجئ إليه، بل لا يُتوكَّل ولا يُعتمد إلا عليه ، ولا يلجأ ولا يستعان إلا به.

والذي يستعين به ويلجأ إليه؛ ليعينه على تهذيب شهوة الجنس، ويقيه من الفواحش
المرتبة على الانغماس فيها، والانجرار وراءها، فإنه -لا شك- سيستجيب له ويعينه، ويحفظه
من الوقوع في الفواحش والمنكرات، فهو الذي وعد عباده بالإجابة، فقال: "ثُمَّ" (1) وقال أيضاً:
"□□□□□□□□□□□□□□□□" (2) إنه نعم المولى ونعم النصير.

المبحث السادس

ضرب النماذج الإيجابية والسلبية

عرض الباحث فيما مضى الوسائل التربوية، والأساليب الوقائية التي تعين في تهذيب
شهوة الجنس ويخصص الحديث في هذا المبحث عن شخصيات القصص القرآني، التي ذكرها
الله تعالى في كتابه؛ ليقنّدي الناس بالنماذج الإيجابية، التي سيطرت على شهوتها وضبطتها
ويتبعوها، ويحذروا من النماذج السلبية، التي تحكّمت شهوتها بها، فقادتها إلى الفواحش، وينفروا
عنها.

¹ - سورة غافر (60).

² - سورة البقرة (186).

الوحي هنا الإلهام أو الهداية، كما قال تعالى في حق أم موسى عليه السلام: "ث ن ذ ن ذ ث ث" (1). وروى الطبري عن مجاهد في قوله (حكماً وعلماً) قال: "العقل والعلم قبل النبوة".
(2)

وأما قوله: "□ □ □ □ □ □ □ □" (3) فليس في ذلك دليل على نبوته أو رسالته، فقد قال الله عن موسى عليه السلام: "أ ب ب ب ب ب ب ب" (4)، ثم مكث بعد ذلك في مدين عشر سنوات حتى قضى الأجل وبعدها كلفه الله بالرسالة.

ويرد على قول من قال: إنه كان نبياً من الوقت الذي ألقى في غيابة الجب بالجواب الأول، وهو أنه كان طفلاً صغيراً .

ثانياً: لا يُعقل أن يكون النبي المرسل عبداً أو خادماً، ولم يثبت ذلك في حق نبي من الأنبياء؛ إذ كيف سيقوم بأعباء الرسالة وتكاليفها وهو مملوك ، ويوسف عليه السلام حينما راودته امرأة العزيز كان تحت حكمها.

ثالثاً : لا يعقل أن يُؤمر النبي بأمر فيه فتنة له وللناس، وهو يعلم حرمة ذلك، فلا يستطيع أن يرفض، وذلك عندما قالت له امرأة العزيز "ثذ". (5)

لهذا يرى الباحث أن يوسف عليه السلام لم يكن نبياً لما راودته امرأة العزيز والنسوة، وبهذا يتبين للجميع أن كل الشخصيات التي ذكرها القصص القرآني، لم يكونوا أنبياء حينما أورد الله قصتهم التي تتحدث عن شهوة الجنس.

1 - سورة القصص (7).

2 - الطبري: جامع البيان.(12 / 106).

3 - سورة يوسف (22).

4 - سورة القصص (14).

5- سورة يوسف (31).

وبعد هذا التمهيد، يبدأ الباحث بسرد الشخصيات في كل قصة؛ لأخذ العبرة منها، وللتأسي بال نماذج الصالحة ، والحذر والابتعاد عن النماذج التي لم تكن كذلك.

وقد ضرب الله للناس نموذج أبويهم آدم وحواء عليهما السلام؛ ليتعلموا من خطئهما ، ويلتزموا أمر الله فلا يعصونه، ويستروا عوراتهم ولا يكشفوها ، وليتصرفوا وفق الفطرة التي فطر الله الناس عليها ولا يخالفوها ، وليسارعوا بالتوبة والاستغفار إذا سؤلت لهم نفوسهم أمراً ، أو زين لهم الشيطان فعلاً.

ويُتعلّم من هذه القصة أن الذكر والأنثى كليهما مسؤول عن أعماله ، ومُحاسب ومجزي عليها بمعزل عن الآخر؛ إذ لا تزر وازرة وزر أخرى. وهذا ما تشير إليه آيات القرآن " أن آدم وحواء كانا مشتركين في كل شيء ، وتحملاً مسؤولية ما وقع منهما وما جرى لهما ، فالله أمرهما معاً بالسكن في الجنة ، وأباح لهما معاً الأكل من ثمارها ، ونهاهما معاً عن الاقتراب والأكل من الشجرة ، والشيطان وسوس لهما ، وأقسم لهما ودلاهما بغرور ، وهما أكلا من الشجرة معاً ، وبدت لهما سواتهما معاً ، وطفقا يخرصان عليهما من ورق الجنة"(1)

فمجال الاقتداء بهما- إذن- الالتزام بستر العورة، وعدم كشفها مهما كان السبب، والمسارعة في التوبة عند الزلل أو الخطأ.

ويحكي الله قصة لوط عليه السلام في مواضع كثيرة من كتابه الكريم ، يستنبط الباحث بعد تدبرها وجوب الاقتداء به وبآله، الذين أنكروا على قومهم شذوذهم وارتكابهم فاحشة لم يسبقهم بها أحد من العالمين ، واتباعهم في عدم تأثرهم بالبيئة السيئة من حولهم، وبقائهم ثابتين على فطرتهم ومبادئهم ، وعدم انسياقهم وراء الكثرة والقوة المادية ، والتأسي بهم في طهارتهم التي وصفهم بها قومهم، " يٰٓيٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هٰؤُلَاءِ هُمْ يَصْنَعُونَ الْفِتْنَةَ هُمْ يَصْنَعُونَ الْفِتْنَةَ هُمْ يَصْنَعُونَ الْفِتْنَةَ"(2) ، والتحمل في سبيل ذلك العذاب والإخراج من الوطن.

1 - الخالدي ، القصص القرآني (1/133).

2- سورة الأعراف (82) ، سورة النمل (56) .

"ولسِنَّه وسِنَّ المرأة التي يعيش معها تحت سقف واحد كل هذه المدة قيمة في تقدير مدى الفتنة وخطورة المحنة والصمود لها هذا الأمد الطويل. أما هذه المرة فلو كانت وحدها وكانت مفاجأة بلا تمهيد أو إغراء طويل، لما كان عسيراً أن يصمد لها يوسف، وبخاصة أنه هو المطلوب فيها لا طالب".⁽¹⁾

وقوله تعالى: " قُتِفَ قُتِفَ قُتِفَ ج ج ج ج ج " ⁽²⁾ يشير إلى أن هذه القصة هي "نهاية موقف طويل من الإغراء ، بعدما أبى يوسف في أول الأمر واستعصم، وهو تصوير واقعي صادق لحالة النفس البشرية الصالحة في المقاومة والضعف ، ثم الاعتصام بالله في النهاية والنجاة".

ولقد تعرّض سيد قطب رحمه الله لموقف قريبٍ من هذا، وهو مسافر في السفينة إلى أمريكا ، إذ دخل الغرفة فقرعت الباب فتاة هيفاء جميلة طويلة شبه عارية ، وقالت له بالإنجليزية : هل يسمح لي سيدي أن أكون ضيفة عليه الليلة ، فأجاب بأن الغرفة والسرير مُعدّان لشخص واحد ، فقالت : وكثيراً ما يتسع السرير الواحد لشخصين ، فاضطر أمام وقاحتها ومحاولة الدخول عنوة إلى دفع الباب في وجهها ، وإذا به يسمع ارتطامها بالأرض الخشبية لأنها كانت مخمورة.⁽³⁾

فكأن لسان حال سيد يقول : إن كنت أنا قد ثبتُّ وصبرت في هذا الموقف الطارئ المفاجئ ، فما المأمول من يوسف عليه السلام الذي يعده الله للنبوة وحمل الرسالة؟!

¹ - انظر: قطب ، في ظلال القرآن (4/709-710).

² - سورة يوسف (24) .

³ - انظر : الخالدي ، صلاح عبد الفتاح : أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب. جدة : دار المنارة . ط1 . 1405هـ - 1985م. (27).

وفي قصة صاحب الغار - الذي كاد أن يقع على ابنة عمه التي يحبها أشد ما يحب الرجال النساء - أسوة حسنة كذلك.⁽¹⁾

ولقد مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ، ووعدته بأن يكون من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.⁽²⁾

ويذكر الباحث هذه النماذج الرائعة، ليعلم المسلم أن بإمكانه أن يثبت أمام المغريات، وأن يضبط شهوة الجنس الآخر في نفسه ويهذبها، مقتدياً بيوسف عليه السلام، وصاحب الغار، وسيد قطب؛ ليكون ممن يُظَلَّ في ظل الله يوم القيامة.

وهذا يقود الباحث إلى الحديث عن همّ يوسف عليه السلام، في قوله تعالى: " **قَدْ قَفَّ قَدْ قَفَّ** **ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج** " ⁽³⁾ ما هو ، وكيف كان ؟

اتفق المفسرون على أن همّ امرأة العزيز كان همّ العزم والفعل؛ لأنها صارحته بالمرآودة، وغلقت الأبواب، وقالت هيت لك ، واختلفوا في ماهية همّ يوسف عليه السلام على أقوال :

فالأول : إن همّه كان كهمّها، حتى إنه حل السراويل، وقعد منها مقعد الرجال من النساء. روي هذا عن ابن عباس ومجاهد ، وهذا القول مصدره الإسرائيليات فلا يلتفت إليه ، وهو قول باطل،

¹ - نص قوله : " اللهم إنها كانت لي بنت عم أحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء ، فطلبت منها فأبى حتى آتيتها بمائة دينار ، فبغيت حتى جمعتها ، فلما وقفت بين رجلها قالت : يا عبد الله ، اتق الله ، ولا تفتح الخاتم إلا بحقه. فقمت ، فإن كنت تعلم أنني فعلته ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجة ففرج" البخاري ، **صحيح البخاري** ، كتاب الحرث والمزارعة ، باب : إذا زرع بمال قوم بغير إذنهم وكان في ذلك صلاح لهم . حديث رقم (2333) ، صفحة(479). ومسلم ، **صحيح مسلم** ، كتاب التوبة ، باب: قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال ، حديث رقم (6843) ، صفحة (1343).

² - نص الحديث : "سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل قلبه معلق في المساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه ، ورجل ذكر الله كثيراً ففاضت عيناه". البخاري ، **صحيح البخاري** ، كتاب الزكاة ، باب: الصدقة باليمين ، حديث رقم (1423) ، صفحة (295). ومسلم ، **صحيح مسلم** ، كتاب الزكاة ، باب: فضل إخفاء الصدقة ، حديث رقم (2269) ، صفحة (468).

³ - سورة يوسف (24) .

الله عليه هو العزم فحسب. ويكون المعنى عندهم على تقدير حذف جواب لولا ، أي : لولا أن رأى برهان ربه لفعل المحذور.⁽¹⁾

وهذا يدل على عظمة يوسف عليه السلام حيث استطاع أن يكبح جماح الشهوة في هذا الظرف الصعب وبعد طول مراودة، وهو درس أراد الله سبحانه أن يتعلمه الشباب الذين هم مثل يوسف ويتعرضون لفتن مثل الذي تعرض لها.⁽²⁾

يقول طيارة : " وإن في قصة يوسف عليه السلام وصموده أمام الإغراء، درساً في العفة، وفي مغالبة الشهوة والانتصار عليها، مما يعتبر أعظم مثل يمكن أن يقتدي به الكثيرون، الذين يبتغون سمو الإنساني."⁽³⁾

ويقول نوفل : المسألة عند يوسف ليست مسألة مساومات ، ولا يسوق الدلال ليرى معزته عندها، معاذ الله، إنه موقف مبدئي، لو ارتقت المسألة في المساومة إلى أن يصبح ملكاً على بلاد الدنيا ما فعل، وليس بصاحب مبدأ أبداً من رفض الثمن الرخيص فإذا زيد له في الثمن قبل ، أو إذا هُدد بالعقاب رضخ.⁽⁴⁾

لذلك عندما هُدد يوسف بالسجن فضّله على اقتراف ما يغضب الله، ولجأ إليه قائلاً : " ژ ژ ژ ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ " ⁽⁵⁾. فالسجن عند المسلم طاعة لله، وطلبٌ لمرضاته ، وهو أفضل من ملك الدنيا مع معصيته.

وشتان شتان بين موقف يوسف عليه السلام، وموقف امرأة العزيز والنسوة اللاتي راودنه، وأطلق العنان لشهوتهن؛ لأنهن لم يتربين على العفة والحياء والأخلاق الفاضلة.

¹ - الرازي ، التفسير الكبير (115/18-120) ، والقرطبي ، الجامع لأحكام القرآن (166/9). وعباس، قصص القرآن

الكريم . (392). وقطب، في ظلال القرآن.(708).

² -انظر: عباس ، قصص القرآن الكريم (392).

³ - طيارة ، مع الأنبياء في القرآن (191).

⁴ - نوفل ، سورة يوسف دراسة تحليلية ، (342) بتصرف.

⁵ - سورة يوسف (33) .

النظيفة السليمة المستقيمة ، فالفتاة القويمة تستحي بفطرتها عند لقاء الرجال والحديث معهم ، ولكنها لثقتها بطهارتها واستقامتها لا تضطرب الاضطراب الذي يطمع ويغري ويهيج ، إنما تتحدث في وضوح بالقدر المطلوب ولا تزيد.⁽¹⁾

وهكذا كانت هذه الأسرة مثلاً يُحتذى به لسائر أسر المسلمين، أبٌ يربّي بناته على العفة والحياء ، وبنات يلتزمن بحسن الأدب والتربية، ويبحثن عن نسب شريف طاهر عفيف تمثّل هنا بموسى عليه الصلاة والسلام.

ويضرب الله عز وجل في قصص القرآن نموذجاً لامرأة من أكمل نساء العالمين؛ إنها مريم الصّديقة عليها السلام، تلك التي هدّبت شهوتها وتحكّمت بها حتى أكرمها الله بعبسى عليه السلام من غير زوج. ومجال الاقتداء بها عندما قالت لجبريل عليه السلام لَمَّا تمثّل لها بشراً سوياً: "س ن ط ث ط ث ط ه ه ه" ⁽²⁾ فهي ترفض الفاحشة ومن يفعلها، وهي صادقة مع نفسها، عالمة بحالها، فهي شريفة عفيفة طاهرة.

وفي الختام ، فهذه الشخصيات واضحة المعالم أمام الناظرين ، فليتناسّ - من أراد النجاة- بالصالحين، وليحذر من الفاسدين.

¹ - قطب ، في ظلال القرآن (337/6)بتصرف.

² - سورة مريم (20).

الفصل الرابع

منهج القصة القرآنية في تهذيب شهوة البنين

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: الابتلاء في الأبناء .

المبحث الثاني: تقديم رابطة العقيدة على رابطة النسب والقرابة.

المبحث الثالث: اللجوء إلى الله والاستعانة به.

المبحث الرابع: ضرب النماذج الإيجابية والسلبية.

ثالثاً: أكد الكتاب العزيز أن بعض الأبناء قد يكونون أعداءً لأبائهم؛ إذا دفعوهم إلى التقصير بواجبات الدين وحقوقهم، فيجب الحذر من ذلك ، ويكون الحذر من هؤلاء بتهديب شهوتهم في النفوس؛ امتثالاً لأمر الله تعالى، وتطبيقاً لأحكامه .

ولقد دار الباحث مع قصص القرآن في كتاب الله فاستنتج منهجاً قرآنياً راقياً، يعين على تهديب شهوة البنين ، يركز على الابتلاء بتأخر إيجابهم أو عدمه، أو على فراقهم، أو موتهم، أو عقوبتهم. و يركز على قضية أخرى وهي تقديم رابطة العقيدة على رابطة النسب والقرابة. ولا بد أيضاً في كل منهج من اللجوء إلى الله والاستعانة به ليعين العبد ويكون معه في كل أمره. وأخيراً فقصص القرآن تضرب النماذج والأمثلة للاقتداء بالأخيار، والحذر من الأشرار.

وقصص القرآن الذي اعتمد عليه الباحث في استنباط منهجه في تهديب شهوة البنين هو:

1. قصة نوح عليه السلام مع ابنه في سورة هود(41-47).
2. قصة إبراهيم مع ابنه إسماعيل عليهما السلام في سورة الصافات(99-113) وقصته مع الضيف حين بشره بإنجاب إسحاق عليه السلام في سورة هود(69-73) وسورة الذاريات(24-30).
3. قصة يعقوب عليه السلام مع أبنائه في سورة يوسف(7-18) و(59-69).
4. قصة زكريا عليه السلام في سورة آل عمران(35-42) وسورة مريم(1-9) وسورة الأنبياء(89-90).
5. قصة أم موسى عند ولادتها موسى عليه السلام في سورة طه(37-41) وسورة القصص(7-13).

المبحث الأول

الابتلاء في الأبناء

قص الله عز وجل في كتابه الكريم قصصاً متعدداً لأنبياء وأولياء ابتلاهم بأبنائهم، فمنهم من جعله عقيماً، أو أخر إنجابهُ إلى سن الشيخوخة، ومنهم من باعد الله بينه وبين بنيهِ، وبعضهم ابتلاه بذبح ولده بيديه، وآخرون ابتلوا بكفر أولادهم أو عقوقهم.

والابتلاء بأشكاله المتعددة له أهداف:

أولها: تهذيب شهوة البنين في النفوس، وإعطاؤها قدرها دون زيادة.

ثانيها: تمحيص المؤمنين وامتحانهم، ليعرف الصادق من الكاذب.

ثالثها: إخلاء قلوب الوالدين لله مهما كانت محبتهم لأبنائهم.

رابعها: أن يعلم الله مدى حب الوالدين له سبحانه، واستعدادهم للتضحية في سبيله.

هذه قصة نادرة في واقع البشر تبين عظم هذين النبيين الكريمين، والد يذبح، وولد يُذبح، وكلاهما مُسَلَّمٍ وراضٍ، بلا خوف أو جزع، ولا يأس أو قنوط .

إن منامه إشارة، وليست وحياً صريحاً، ولا أمراً مباشراً ، ولكن هذا يكفي ليُلبى ويستجيب، دون أن يعترض، ودون أن يسأل ربه، لماذا يا ربي اذبح ابني الوحيد ؟ ولكنه لا يلبى في انزعاج، ولا يستسلم في جزع، ولا يطيع في اضطراب، كلا إنما هو القبول والرضا والطمأنينة والهدوء . (1)

لقد ذهب إبراهيم عليه السلام شهوة البنين في نفسه، لدرجة أنه استعد أن يذبح ولده الذي جاءه بعد طول انتظار، وهو في شيخوخته، وهو ابنه الوحيد، واستعد أن يذبحه بيده امتثالاً لأمر الله، فكانت مكافأة الله له أن نجاه من الموت، وفداه بذبح عظيم.

"لكن متى جاء الفداء؟ ومتى قدم الله لإبراهيم البديل؟ لقد كان ذلك بعد الاستسلام والتصديق، بعد التضحية والابتلاء، بعد النجاح في الامتحان". (2)

وفي هذا الامتثال المطلق من إبراهيم عليه السلام لله رب العالمين، درس لكل إنسي غلبته شهوة البنين، فألهته عن الآخرة والدين. إن الله لا يأمرهم أن يذبحوا أولادهم كما فعل إبراهيم عليه السلام، إنما يطلب منهم ألا تلهيهم أولادهم عن ذكر الله ، فهل هذا الأمر يقارن بما أمر به إبراهيم عليه السلام؟ فلم الجري وراء الدنيا وترك الآخرة، والواهب والمعطي هو الله وحده؟

ولا بد للباحث هنا من تقديم عبرة هذه القصة لبعض الآباء الذين لم يرزقوا إلا ولداً واحداً، أو رزقوا بذكر واحد مع جملة بنات، فالشائع في تصرف هؤلاء مع ذلك الولد الوحيد هو الدلال المفرط، وتحقيق كل ما يطلب دون محاسبة، ومسامحته إن أخطأ، وعدم عقابه ولو كرر الخطأ، ولا يجيزون لكبير أو صغير-ولو كان معلمه- ضربه أو توبيخه، وإن كان الهدف من ذلك تربيته، والحجة عندهم في كل ذلك، أنه الولد الوحيد.

¹ - انظر: قطب، في ظلال القرآن (63/7).

² - الخالدي، القصص القرآني (399/1).

إن تعامل المجتمع في هذه المسألة خاطئ، ويجب أن يقوم، فإله يهب الولد ليربّي ويُعلم ويصبح جندياً من جنود الله، أينما حل نفع، وحيثما وضع فهو على قدر المسؤولية. والسياسة الشائعة في التعامل معه تجعله مصدر فساد وإفساد، لا منبع خير وإعمار وإصلاح.

ويجب أن يعلم الجميع أن الولد هو ملك الله وحده، قال تعالى: "وَوَلُوهُ وُوُوِ وَيُيُ" (1).

فينبغي أن يُربّي الولد كما يحب الله ويرضى، ومتى أراد الله سبحانه أن يتوفاه، فذلك له وحده، إذ الأجال والأعمار بيده. وإن كان الولد وحيداً، فإنه لن يعيش الدهر أبداً، بل سيأتي يوم لا مفر منه ولا مهرب، يعود فيه إلى خالقه سبحانه، فإن أتاه صالحاً، فهنيئاً له الجنة، وإن كان غير ذلك، فلا يلومنّ إلا نفسه، وسيحاسب الله الآباء كيف ربّوه، وعلى ماذا أنشأوه؟ هل ربوه على حب الله والولاء للمؤمنين؟ وهل أنشأوه على حب الجهاد في سبيل الله؟

إن من هذب شهوته إذا ما أصبح الجهاد فرض عين، فسيرسل ابنه الوحيد إلى ساحات الوغى راضياً بقضاء الله وقدره، غير متمسك بولده كأنه لن يرحل من الدنيا أبداً، وإن تربى الولد على ذلك، فسيسير إلى لقاء الله غير عابئ بالدنيا، ولا متهافت عليها.

" إن التربية الرجولية لا تتم عن طريق الرخاوة والدلال والميوعة؛ وإنما تتم من خلال المحنة والشدة والحزم" (2)

وإبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام خير قدوة لنا في ذلك، فالوالد المربيّ استعداد أن يذبح ولده بيده امتثالاً لأمر الله، والولد المربيّ خير تربية استعداد كذلك أن يُذبح في سبيل الله.

ومن النماذج المذكورة في قصص القرآن ذلك الغلام الذي قتله الخضر عليه السلام، فصبر والداه على موته لأن ذلك من أمر الله، ولم يطلبوا الثأر من قاتله، لأنه قتله بوحي الله، قال

1 - سورة الشورى (49 - 50).

2 - الخالدي، مع قصص السابقين في القرآن. (568).

المبحث الثاني

تقديم رابطة العقيدة على رابطة النسب والقرابة

عرض الباحث في المبحث السابق أنواع الابتلاء التي ذكرها الله في قصص القرآن، وهي باختصار (العقم، والفراق، والموت، والعقوق)، وذكر في المطلب الأخير (الابتلاء بعقوق الأبناء وكفرهم) ثلاث قصص تدل على أن الآباء قد يُبْتَلَوْنَ بأمثال (ابن نوح عليه السلام الكافر، أولاد يعقوب عليه السلام العاقين، الغلام الذي قتله الخضر عليه السلام).

وقص الله هذه النماذج ؛ ليبين للآباء إذا ابتلوا بأبناء عاقين أو مخالفين لمنهج الله، أنه يجب عليهم أن يقدموا الله عز وجل وأوامره على هؤلاء الأبناء، فقد قال تعالى عن ولد نوح: " طُتِّئَةُ مَبِهِ هَهُ هَهُ هَهُ " (1) ، فأقر بأنه ابنه، لكنه عندما رفض الإيمان، والانضمام إلى موكب الصالحين المؤمنين، قال الله له: " بَبِيبِ ". (2)

فالأهل عند الله وفي دينه وميزانه، ليسوا قرابة الدم؛ إنما هم قرابة العقيدة، وهذا الولد لم يكن مؤمناً، فليس إذن من أهله، وهو النبي المؤمن. جاءه الرد هكذا في قوة وتقرير وتوكيد، وفيما يشبه التقرُّع والتأنيب والتهديد. إنها الحقيقة الكبيرة في هذا الدين، حقيقة العروة التي ترجع إليها الأمور جميعاً، عروة العقيدة التي تربط بين الفرد والفرد، مالا يربطه النسب والقرابة. (3)

1 - سورة هود (42).

2 - سورة هود (46).

3 - قطب، في ظلال القرآن (551/4) بتصرف .

" والذي ينشده القرآن وراء ذلك توجيه الإنسان إلى أن أعماله الصالحة هي المَعول عليها في نيل السعادة في الآخرة، وأنه ليس للشفاعات والقربات أي تأثير في نجاته من عذاب الله إن كان عاصياً".⁽¹⁾

و ما هو يعقوب عليه السلام عندما حضرته الوفاة يوصي أولاده بالعقيدة، يقول تعالى: "وَوَوِّعُوهُ وَيُؤَدِّعُوهُ وَيُؤَمِّنُوهُ وَيُؤَمِّنُوهُ وَيُؤَمِّنُوهُ وَيُؤَمِّنُوهُ وَيُؤَمِّنُوهُ وَيُؤَمِّنُوهُ".⁽²⁾

"إن هذا المشهد بين يعقوب وبنيه في لحظة الموت والاحتضار لمشهد عظيم الدلالة، قوي الإيحاء، عميق التأثير.. ميت يحتضر. فما هي القضية التي تشغل باله في ساعة الاحتضار؟ وما هو الشاغل الذي يعني خاطره وهو في سكرات الموت؟ ما هو الأمر الجلل الذي يريد أن يطمئن عليه ويستوثق منه؟ ما هي التركة التي يريد أن يخلفها لأبنائه ويحرص على سلامة وصولها إليهم فيسلمها لهم في محضر، يسجل فيه كل التفاصيل؟ إنها العقيدة، هي التركة، وهي الذخر، وهي القضية الكبرى، وهي الشغل الشاغل، وهي الأمر الجلل، الذي لا تشغل عنه سكرات الموت وصرعته"⁽³⁾

ويبين الباحث هنا أن يعقوب عليه السلام الذي أراد الله منه أن يهذب شهوة البنين في نفسه، فابتلاه بفراق أحب أولاده إليه، وعقوق الباقين، أن شهوته قد هذبت، و ما هو ذا يوصي أولاده بتقديم العقيدة والإيمان على كل شيء.

إن تقديم رابطة العقيدة على رابطة القرابة أمر مطلوب شرعاً، وهو كذلك منهج قرآني يعين على تهذيب شهوة البنين، فالذي يوقن أن الأخوة الحقيقية هي أخوة العقيدة والإيمان، وأن الأهل الحقيقيين هم أهل العقيدة والإيمان، لا ريب سيقدمهم على كل أحد، ولو كان أقرب المقربين إليه- سواء كان أباً أو أمًا، أو أخاً أو أختاً، أو ابناً أو بنتاً، أو زوجة- إلا إن كانوا مؤمنين مثله، ملتزمين منهج الله الذي يعتنقه ويعتقده.

¹ - طبارة، مع الأنبياء في القرآن. (81) .

² - سورة البقرة (133).

³ - قطب، في ظلال القرآن (159/1).

ومن يقدم هذه الرابطة في عقله وقلبه على ما سواها، ستتهدب شهوته ، فلا يطغى حب
الأولاد في قلبه على دينه، ولا تملك تلك المشاعر عليه نفسه فتتسيه ذكر الله، بل يكون راضياً
بقضائه ، ملتزماً بمنهجه .

المبحث الثالث

اللجوء إلى الله والاستعانة به

لا بد للباحث في كل فصل من فصول هذه الرسالة، أن يخصص مبحثاً بهذا العنوان ضمن منهج القصة القرآنية في تهذيب الشهوات، إذ لا يستطيع أي امرئ الاعتماد على نفسه والركون إليها، وهذا مراد الله عز وجل، فقد أورد في كل القصص الذي تحدث فيه عن الشهوات أدعية تساعد في تهذيبها، وأناساً دعوا الله بذلك فأعانهم على ضبطها، ومن لا يدعو الله ولا يستعين به، فلن يفوز، ولن يفلح، في الدنيا، ولا في الآخرة .

ولقد كان هذا ديدن أنبياء الله، دعاء الله واللجوء إليه، والاستعانة به في كل الأحوال . فهذا نوح عليه السلام طلب من الله نجاة ابنه، قال تعالى: " **يٰٓأَيُّهَا اللّٰهُ إِنِّي آتَيْتُكَ بِغُلَامٍ طَافٍ فَسَقِّهْ إِنِّي أَخُوهُ** " (1)، بيد أنه لما أيقن أنه ليس من أهله الحقيقيين قال: " **فَقُتِلَ قَتْلًا جَدِيدًا** " (2).

ويلاحظ الباحث أن نوحاً طلب النجاة لابنه حرصاً منه على هداية الناس جميعاً، لأنه ولده فحسب، إذ إنه قال له: " **هَبْهُ هَهْه** " (3).

وها هو إبراهيم عليه السلام طلب الذرية الصالحة من الله تعالى، فقال: " **إِنِّي نَذَرْتُ لِلّٰهِ نَفْسًا كَرِيمًا** " (4)، فاستجاب الله له، قال تعالى: " **إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ آيَةً** " (5). وفي سورة إبراهيم التي سميت باسمه، دعا الله ونجاه بأبرع كلام، وأضرع أسلوب، قال الله على لسانه: " **تَتَنَبَّأُ بِطَبَّاتٍ مُّطَهَّرَاتٍ فَتَقُوقْنَ** " (6).

1 - سورة هود (45).

2 - سورة هود (47).

3 - سورة هود (42).

4 - سورة الصافات (100).

5 - سورة الصافات (101).

أغرق رضي والده واستسلم. ومنهم من طلب الذرية-مثل إبراهيم وزكريا عليهما السلام- وهم لم يطلبوها لأجل الذرية فحسب، مباهاة وتفخراً وتكاثراً، إنما من أجل الأمة والإسلام والدعوة، فهم لا يريدونه إلا أن يكون صالحاً رضيعاً. ومنهم من ابتلي بأولاده-مثل يعقوب عليه السلام- فدعا الله مستمداً الصبر والعون منه، وشاكياً بته وحزنه إلى مولاه العظيم. ومنهم من هذب شهوته -مثل امرأة عمران- واستعدت أن تهب وليدتها لله، ونذرت في سبيل الله، وطلبت من الله القبول.

إن من يلجأ إلى الله، ويستعين به لضبط شهوته ، سيعينه الله، ومن طلب الذرية ليذهب شهوته فلا تمتد عينه إلى غيرهم، سيعطيه الله، ومن يستتصر بالله على أولاده العاقين سينصره الله. ويجب في كل ذلك أن يكون السؤال من أجل الله، وفي سبيل الله، وللتمكنين لدين الله، وليس من أجل منفعة شخصية مجردة.

المبحث الرابع

ضرب النماذج الإيجابية والسلبية

يخصّص الباحث في هذا المبحث على شخصيات القصص الواردة في هذا الفصل، التي استنبط منها منهج تهذيب شهوة البنين، فمن أحسن فيقتدى به ، ومن أخطأ فذاك يحذر من فعله. ويستطيع الناس أن يستلهموا من نوح عليه السلام الرحمة والشفقة على أبنائه، ومحبة الخير لهم ، ويتعلمون منه الأدب مع الله عند دعائه، والالتزام بأمره حين يأمر، وتقديم رابطة العقيدة على القرابة ، وأما ابنه فذاك يحذر من كفره، ومن عقوقه، ومن عدم استجابته لأبيه النبي المرسل من الله.

ويتعلمون من إبراهيم عليه السلام التضحية والفداء، والرضا والاستسلام لله، والدعاء بتضرع وتذلل، وتقديم الله على كل شيء ، وامتنال أمر الله في كل شيء ، والتربية الحسنة الصالحة للأبناء . ويستمدون من إسماعيل عليه السلام قوة اليقين بالله والتوكل عليه، وبه يقتدي الأبناء في طاعة الوالدين وبرهما ، وإيثار الآخرة الباقية على الدنيا الفانية ، وبذل الروح والنفس في سبيل الله .

ولهم كذلك التأسّي بصير يعقوب عليه السلام؛ الذي صبر على فراق أولاده السنين الطويلة ، وصبر على عقوق أولاده الآخرين كذلك ، ويُستفاد من قصته وجوب عدم التفريق بين الأولاد في المعاملة، فأما يوسف عليه السلام وأخويه فيتعلمون منهم الصبر على فراق الوالد ،

وبر الوالدين وطاعتها ، وأما الأولاد العشرة فيحذرون من عقوقهم لأبائهم، وبخاصة إذا كانوا أنبياء ومرسلين .

ويقتنون بزكريا عليه السلام في دعاء الله عز وجل بتضرع وخفية ، وتذلل وخيفة ، ويستمدون منه اليقين عند الدعاء، والتوكل على الله حق التوكل، والصبر عند البلاء .

و امرأة عمران قدوة للنساء؛ فيقتفين أثرها بنذر الأبناء لخدمة الدين والإسلام ، والعيش مع الله وفي سبيل الله .

وأم موسى عليه السلام أسوة حسنة كذلك؛ فهي معلمة الأجيال، وصانعة الرجال، ومنها تؤخذ دروس التضحية بفلذات الأكباد من أجل الله ، والالتزام بأوامر الله مهما كانت صعبة ، واليقين بأن من يكون مع الله فلن يضيعه الله .

وفي قصص هؤلاء وأولئك يتعلم الناس كيفية تهذيب شهوة البنين في النفوس، ويجدون نماذج إيجابية يقتدون بها، وأخرى سلبية يبتعدون عنها، ويحذرون منها.

وفي ختام هذا البحث، فهذه الشخصيات معالمها واضحة، وسيرتها بيينة، وعبرتها مشروحة للناظرين والمتأملين، ولمن أراد التأسى والافتداء بالصالحين، والحذر من السيئين والمخطئين، والله المستعان .

الفصل الخامس

منهج القصة القرآنية في تهذيب شهوة المال

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: النهي عن تطيف الكيل والميزان

المبحث الثاني: الدعوة إلى القناعة والكرم والإتفاق

المبحث الثالث: اللجوء إلى الله والاستعانة به

المبحث الرابع: الذم والإنكار على متبعي شهوة المال

المبحث الخامس: التخويف والتهديد بالابتلاء والعذاب

المبحث السادس: ضرب النماذج الإيجابية والسلبية

تمهيد :

تم الحديث في الفصل الماضي عن منهج القصة القرآنية في تهذيب شهوتي الجنس والبنين، ويخصّص الباحث هذا الفصل للحديث عن الشهوة الثالثة وهي شهوة المال.

وينبه هنا إلى أن الذهب والفضة والخيل والأنعام والحرث، هي أمثلة للأموال التي يتعامل الناس بها، وليست شهوات مستقلة بذاتها.

"قال العلماء: ذكر الله تعالى أربعة أصناف من المال، كل نوع من المال يتموّل به صنف من الناس؛ أما الذهب والفضة فيتموّل بها التجار، و أما الخيل المسوّمة فيتموّل بها الملوك، وأما الأنعام فيتموّل بها أهل البوادي، و أما الحرث فيتموّل بها أهل الرساتيق (السّواد والقرى)"⁽¹⁾.

ولقد كثرت الآيات التي تحدثت عن شهوة المال، محذرة من الانجرار خلفها، والانسياق وراءها، فمنها قوله تعالى: "كُلُّ نَفْسٍ نَاطِقَةٌ مِمَّا بَدَأْتَهُمْ هَاهُنَا" ⁽²⁾، ومنها قوله تعالى: "قَدْ جِئْتُمْ كُفْرًا" ⁽³⁾، وفي آية أخرى "كُلُّ نَفْسٍ نَاطِقَةٌ" ⁽⁴⁾، ومنها قوله تعالى: "مِمَّا بَدَأْتُمْ كُفْرًا" ⁽⁵⁾، وقوله تعالى "تَطْمِئِنَّ قُلُوبُكُم بِأَقْسَامِكُمْ" ⁽⁶⁾، وقوله تعالى: "فَقَفُّوا قَدْحًا كَدْحًا" ⁽⁷⁾، وقوله

1 - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (36/4).

2 - سورة المنافقون (9).

3 - سورة الأنفال (28).

4 - سورة التغابن (15).

5 - سورة سبأ (37).

6 - سورة الحديد (20).

7 - سورة الشعراء (89-88).

- 1- قصة إبراهيم عليه السلام مع ضيفه، في سورة هود (69-70) وسورة الذاريات (24-28).
- 2- قصة شعيب عليه السلام مع قومه، في سورة الأعراف (85-93) وسورة هود (84-95).
- 3- قصة هود وصالح عليهما السلام حينما أنكرا على قومهما الترف والإسراف في النعم التي أنعم الله بها عليهم، في سورة الشعراء (128-135) و (146-151).
- 4- قصة داود وسليمان عليهما السلام، في سورة النمل (19) و (36-40) .
- 5 - قصة قارون، في سورة القصص (76-83).
- 7- أصحاب الجنة، في سورة القلم (17-33).
- 8- صاحب الجنتين، في سورة الكهف (32-44).
- 9- أصحاب السبت، في سورة الأعراف (163-167).
- 10- قصة سبأ، في سورة سبأ (15-19).

وبعد قراءة هذه الآيات بتدبر وتمعن، يبدأ الباحث بكتابة المنهج المستنبط مع الشرح والتفصيل والبيان، والله المستعان .

المبحث الأول

وعندما نهى شعيب عليه السلام قومه عن التطفيف في الكيل والميزان، أتبع ذلك بنهيهم عن البخس والتتقيص بجميع الوجوه فقال: " ولا تبخسوا الناس أشياءهم" ، ويدخل في ذلك المنع من الغصب والسرقه، وأخذ الرشوة، وقطع الطريق، وانتزاع الأموال بطريق الحيل. (1)

إن من أهم طرق تهذيب شهوة المال في النفس الإنسانية معرفة الحلال والحرم؛ لاجتناب النواهي والمحرمات، ومحو الظلم من المجتمعات، فالمسلم الذي يعرف أن تطفيف الكيل والميزان حرام وظلم، فإنه سيجنب نفسه ارتكاب المحذور، وسيحاسبها إن ضعفت، وبذلك تنهذب شهوته، ويصبح المال عنده وسيلة لإرضاء الله، والفوز في الآخرة وليس غاية دنيوية رخيصة .

المبحث الثاني

الدعوة إلى القناعة والكرم والإنفاق في سبيل الله

تحدث الباحث في المبحث السابق عن نهى القرآن الكريم عن التطفيف في الكيل والميزان، ويركز في هذا المبحث على ثلاث طرق معينة في علاج نفسية المطففين، ومساعدة

¹ - انظر: الرازي، التفسير الكبير (173/14).

التصدق والإنفاق على الناس، بقليل من الزيادة على ما يستحقونه، لأن رزقهم واسع، وحتى يكونوا هم أصحاب اليد العليا، وأكثر سماحةً ووفاءً وسخاءً .

إن القناعة والكرم والإنفاق على الفقراء، أمور لا بد من تطبيقها لمن أراد أن يهذب شهوة المال في نفسه، ولمن يريد أن يكون المال في يديه لا في قلبه.

المبحث الثالث

اللجوء إلى الله والاستعانة به

سبق التأكيد في الفصلين الماضيين أن هذا العنوان جزء أصيل من منهج القصة القرآنية في تهذيب كل الشهوات؛ إذ لا بد للمسلم أن يلجأ إلى الله ويطلب عونه ويدعوه ويرجوه، حتى يكون معه ويعينه على تهذيب شهوته.

وللجوء إلى المولى سبحانه وطلب عونه أساليب متعددة، منها الدعاء، والصلاة، وتذكر النعم وشكرها، وتذكر الدار الآخرة وما فيها من ثواب وعقاب، وسيتحدث عنها الباحث عبر المطالب الآتية:.

المطلب الأول : الدعاء

إن دعاء الله سلاح بيد العبد، يحميه ويسير فيه غير مبالٍ بالأهوال والمصائب، فمن يدعو الله لا يخيبه، ومن يرجوه لا يضيعه، قال تعالى: "يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْعُوا اللَّهَ حُدُودًا"

¹ - سورة هود (85).

إن تذكر نعم الله وشكرها، يُشعر النفس بعظيم فضل الله عليها، فيدعوها ذلك إلى التصرف بفضل الله ونعمه، كما يريد واهبها ومعطيها سبحانه، ومن كرم الله تعالى وعدله أن من يشكر نعمه يزيد منها؛ قال تعالى: "ثُمَّ قَفَّ قَفًّا مَجَّجًا" (1).

يقول الرازي معلقاً على هذه الآية: "اعلم أن المقصود من الآية بيان أن من اشتغل بشكر نعم الله زاده الله من نعمه، والشكر هو عبارة عن الاعتراف بنعمة المنعم مع تعظيمه، وتوطين النفس على هذه الطريقة، والشكر إنما حسن موقعه، لأنه اشتغال بمعرفة المعبود، وكل مقام حرك العبد من عالم الغرور إلى عالم القدس، فهو المقام الشريف العالي الذي يوجب السعادة في الدين والدنيا". (2)

"إن شكر النعمة دليل على استقامة المقاييس في النفس البشرية، فالخير يشكر؛ لأن الشكر هو جزاؤه الطبيعي في الفطرة المستقيمة. هذه واحدة.. والأخرى أن النفس التي تشكر الله على نعمته، تراقبه في التصرف بهذه النعم، بلا بطر، وبلا استعلاء على الخلق، وبلا استخدام للنعمة في الأذى والشر والدنس والفساد. وهذه وتلك مما يزكي النفس، ويدفعها للعمل الصالح، وللتصرف الصالح في النعمة بما ينميها ويبارك فيها؛ ويرضى الناس عنها وعن صاحبها" (3)

ولأن تذكر النعم وشكرها له تلك الميزات، فقد أمر به الأنبياء أقوامهم، قال هود عليه السلام لقومه: "ثُمَّ تَطَّافٌ فَتَقَفُّوا جَجَجًا" (4). وقال صالح عليه السلام لقومه أيضاً: "أَبْ بِبِ بِبِ بِبِ بِبِ بِبِ بِبِ نِثُتٌ" (5)

¹ - سورة ابراهيم (7).

² - الرازي، التفسير الكبير (86/20).

³ - قطب، في ظلال القرآن (139/5).

⁴ - سورة الأعراف (69).

⁵ - سورة الأعراف (74).

فإنه لا يريد من المسلم أن لا يعمل، أو أن يكون فقيراً معدماً؛ بل يريد منه أن يكون متوازناً في جمعه المال، فلا يكسبه من حرام، ولا ينفقه في حرام، ولا يتعالى على الناس به؛ بل يرجع الفضل فيه إلى الله تعالى.

وفي هذا يتمثل اعتدال المنهج الإسلامي القويم. المنهج الذي يعلق قلب واجد المال بالآخرة، ولا يحرمه أن يأخذ بقسط من المتاع في هذه الحياة؛ كي لا يتزهد الزهد الذي يهمل الحياة ويضعفها. (1)

وبعد دراسة هذه المطالب، يتبين أن الدعاء والصلاة، وتذكر النعم وشكرها، وتذكر الآخرة وما فيها من ثواب وعقاب، هي طرق ووسائل لتهديب شهوة المال في النفس الإنسانية، وهي منطلقات وركائز إيمانية أصلها اللجوء إلى الله وطلب عونه، وهو الموفق والمستعان.

¹ - قطب، في ظلال القرآن (374/6). بتصرف .

جمعه، ويحتمل في ذلك عذاب الهون، وقد يذل نفسه للحصول عليه، ولا يستمتع به بعد ذلك؛ لأن جمعه يصبح غاية في ذاته، لا وسيلة لغاية أخرى أرفع وأنبل، وهكذا تتقلب اللذة الأولى الناجمة من الاستكثار من المال شغلاً دائماً للبال، وقلقاً للأفكار، وجشعاً لا يرتوي، بل يزداد حبه كلما ازداد المال كثرة".⁽¹⁾

وقد عدَّ الله المال من زينة الحياة الدنيا فقط، فهو سريع الانقضاء والانقراض، وما كان كذلك فإنه يقبح بالعاقل أن يفتخر به، أو يفرح بسببه، أو يقيم له في نظره وزناً، وهذا دليل أكيد، وبرهان سديد على فساد قول أولئك المشركين الذين افتخروا على فقراء المؤمنين بكثرة الأموال والأولاد.⁽²⁾

ويعتقد الباحث هنا أن الذم والإنكار عندما يكون من الله عز وجل، يكون بمثابة النهي الصريح عن المذموم، وبذا يتأكد النهي عن الإكثار من جمع المال، واتباع شهوة المال. ومن يعظم الله ويوقره، ويقدره حق قدره، فإنه يتحوّل عما ينهى عنه، ولا يسلك طريقه، وبذلك يكون الإنكار والذم على متبعي شهوة المال ضابطاً مهماً من منهج القصة القرآنية في تهذيب هذه الشهوة في النفوس.

المبحث الخامس

التخويف والتهديد بالابتلاء والعذاب

دار الحديث في المبحث السابق عن عامل مهم من عوامل تهذيب شهوة المال في النفس الإنسانية من خلال دراسة القصص القرآني؛ وهو الذم والإنكار على متبعي شهوة المال، فإذا لم يرتدع هؤلاء، فإن الله يخوفهم ببلائه، ويهددهم بعذابه وعقابه، كما حلّ بكثير من متبعي الشهوات والمنساقين وراءها من الذين قصّ القرآن قصصهم في كتابه، وهذا مدار الحديث في المبحث هذا.

¹ - قطب، الإنسان بين المادية والإسلام (93)

² - انظر: الرازي، التفسير الكبير، (130/2)

الخاتمة

في ختام هذا البحث، وهذه الدراسة، لا بد للباحث من تسجيل أهم النتائج التي توصل إليها من خلال دراسته لمنهج القصة القرآنية في تهذيب الشهوات.

نتائج الدراسة:

1. القصص القرآني يقدم الحلول النظرية والعملية للذين يريدون تهذيب شهواتهم، وتبين أن له منهجاً عملياً موضوعياً محدداً في تهذيب الشهوات.
2. ورد مصطلح الشهوة ومشتقاته في القرآن الكريم في ثلاث عشرة آية، أغلبها مكي النزول، إلا آيتين مدنيتين، وفي ذلك إشارة إلى وجوب تهذيب الشهوات في جميع الأزمنة والأمكنة، كما ورد أيضاً في سياق الأحكام والجهاد والعبادات.
3. تزيين الشهوات من فعل الله تعالى، وقد زينها لحكم عديدة، منها إعمار الكون، واستمرار الحياة، وابتلاء للناس؛ ليميز الخبيث من الطيب.

4. الشهوات المذكورة في القرآن الكريم - صراحة - ثلاثة، وهي شهوة النساء، وشهوة البنين، وشهوة الأموال بكل أنواعه (الذهب والفضة والخيل والأنعام والحرث).

5. متبعو الشهوات هم كل من يستسلم لشهوته، وينساق لها حتى تجره إلى فعل الفواحش والمنكرات، وهو لفظ عام يدخل فيه اليهود والنصارى والزناة وكل متبع باطلاً.

6. الغي هو جزء متبعي الشهوات، ومضيعي الصلوات - الذين يتركونها ويجحدونها - وهو الشر والخسران والهلاك، وفي الآخرة يصلى النار التي قد يكون موضع فيها يسمى بذلك.

7. النساء مطالبات بتهديب الشهوات كما الرجال، ولقد أورد الله في قصص القرآن الكريم، في كل شهوة، أمثلة بشرية من النساء، للتأكيد على هذه المسألة.

8. منهج القصة القرآنية في تهديب شهوة الجنس - المستتبط في هذه الأطروحة - يرتكز على الدعوة إلى ستر العورة، وغيض البصر وعدم الاختلاط، والحث على الزواج، والإنكار على المنحرفين وتهديدهم بالعذاب، وفتح أبواب الدعاء واللجوء إلى الله وطلب عونه للمساعدة في تهديب هذه الشهوة.

9. شخوص قصص القرآن الذي تحدث عن شهوة الجنس لم يكونوا أنبياء حين وقوع قصتهم التي تتحدث عن الشهوة، ليقنّدي بهم جميع الناس، وحتى لا يتذرعوا بأن تهديب شهوة الجنس صعب وغير ممكن التطبيق.

10. همّ امرأة العزيز بيوسف عليه السلام كان همّ العزم والفعل، أما هو فقد حصل منه همّ بها، غير أنه لم يكن عزمًا، وهو مما لا يؤاخذ الله عليه.

11. قدّم الله في قصص القرآن نماذج نسائية (حواء ومريم عليهما السلام، وابنتي شيخ مدين، وامرأة العزيز) للتأكيد على مطالبة النساء بتهديب شهوة الجنس، فيقتدى بستر حواء لعورتها، وبطهارة مريم ورفضها الزنا، وبعفة البنيتين وحيائهما، ويحذر من أخلاق امرأة العزيز وانحرافها.

12. منهج القصة القرآنية في تهذيب شهوة البنين - المستتبط في هذه الأطروحة - يقوم على ركيزة الابتلاء في الأبناء، وهذا الابتلاء يتعدد ما بين (تأخر الإنجاب أو العقم، والفراق أو البعد، والموت أو القتل، والعقوق أو الكفر)، ويقوم كذلك على وجوب تقديم رابطة العقيدة على رابطة القرابة، وعلى فتح باب دعاء الله وطلب عونه في تهذيب هذه الشهوة.

13. ركز القرآن الكريم على تهذيب شهوة البنين، وقرنها مع شهوة المال في آيات كثيرة، وذلك لتوضيح خطرها وعظيم فتنتها، ولفت أنظار الناس إليها.

14. استعدت أم موسى عليه السلام للتضحية بولدها في سبيل الله، ونذرت امرأة عمران ما في بطنها لله، وهذا يؤكد مطالبة النساء بتهذيب شهوة البنين مثل الرجال، ويعطيهن قدوة حسنة للتأسي بها، والافتداء بأخلاقها.

15. تعامل المجتمع مع " الولد الوحيد " بالدلال المفرط ، تعامل خاطئ ويجب أن يقوم، وقدوة الناس في ذلك إبراهيم عليه السلام، الذي استعد بأن وجود بولده الوحيد امتثالاً لأمر الله.

16. طلب نوح عليه السلام النجاة لابنه، ولم يطلبها لزوجته، مع أن كليهما كافران، وهذا يدل على عمق الرابطة بين الأب وولده، إلا أن ذلك لا يُقبل مع الأبناء الكافرين، بل يجب تقديم رابطة العقيدة على رابطة النسب والقرابة في كل حين.

17. منهج القصة القرآنية في تهذيب شهوة المال - المستتبط في هذه الأطروحة - يرتكز على النهي عن تطفيف الكيل والميزان، والدعوة إلى القناعة والكرم والإنفاق في سبيل الله، والإنكار على متبعي شهوة المال، وتهديدهم بالابتلاء والعذاب إن أصروا على ذلك.

18. دعاء الله، والصلاة، وتذكر النعم وشكر الله عليها، وتذكر الدار الآخرة، منطلقات إيمانية في طلب العون من الله واللجوء إليه، لتهذيب شهوة المال في النفس الإنسانية.

19. تهذيب شهوة المال لا يعني البقاء في الفقر والحرمان، وإنما الدعوة إلى الاقتصاد والتوازن، وعدم التطلع إلى ما في أيدي الآخرين.

20. عاقب الله الأمم والأفراد الذين لم يهذبوا شهوة المال في نفوسهم عقاباً شديداً أليماً؛ لأن عواقب عدم تهذيب هذه الشهوة يتعدى خطره وضرره إلى المجتمع.

21. قدّم الله مثالاً يُحتذى في تهذيب شهوة المال، وهو نموذج ملكة سبأ التي تخلت عن مالها وملكها من أجل الله والدخول في دينه، وهذا يؤكد من جديد إلى مطالبة المرأة بتهذيب شهوة المال كما يطالب الرجال بذلك.

22. قصّ الله القصص في القرآن لأخذ الدروس والعبر والدلالات، وللاقتداء بالنماذج الإيجابية التي هذبت شهواتها ونجحت، والتفكير من النماذج السلبية التي لم تهذب الشهوات - أو لم تُرد ذلك ولم تحاول - وذلك في جميع القصص المتحدث عن الشهوات الثلاثة.

توصيات ومقترحات:

يقدم الباحث في ختام هذه الأطروحة بعض التوصيات والمقترحات المهمة، التي تخدم الدراسة وأهدافها بشكل خاص، والعلم الشرعي بشكل عام، وتقدم النصح لشرائح المجتمع كافة.

1. توصية وسائل الإعلام جميعاً - المرئية والمسموعة والمقروءة - بالكف عن تقديم الأفلام والمسلسلات الهابطة، والترويج للأغاني المفسدة، ونشر الكتب والمجلات والصور الخليعة، التي تثير الشهوات وتنتشرها بأسلوب دنيء لا يرضاه الله ولا رسوله ولا المؤمنون.

2. العمل على تقديم الدراما الإسلامية بديلاً عن الدراما الفاسدة، بأسلوب يجذب اهتمام الناس ونظرهم، ولا يقتصر على النواحي التاريخية فقط.

3. إنشاء فضائيات إسلامية خاصة بتهذيب الشهوات، ونشر الأناشيد والمجلات والجرائد والكتب الإسلامية المعينة على ذلك، وافتتاح الجمعيات الخيرية والثقافية والاجتماعية التي تختص بتهذيب الشهوات جميعها.

4. تقديم حصص ومحاضرات في المدارس والجامعات، وتخصيص خطب جمعة مستقلة تركز على تهذيب الشهوات؛ لإخراج جيل إسلامي مهذب ومؤدب.

5. عمل محاضرات خاصة بالمعلمين والمعلمات وأولياء الأمور، بصفتهم محل اقتداء من الطلبة والأبناء، وحثهم على الالتزام بتهديب شهواتهم، وتعليم من هم تحت مسؤوليتهم ذلك.
6. إجراء مزيد من البحوث والرسائل الجامعية والكتب، التي تخصص البحث في شهوة بعينها، وتركز عليها، من خلال دراسة كتاب الله تعالى، وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم.
7. دراسة شهوات أخرى غير المذكورة في هذه الأطروحة، مثل شهوة الجاه، وشهوة الملك، وشهوة البطن، وغيرها.
8. الاهتمام بمنهج القصة القرآنية في أغراض الدين وأهدافه كافة.

وفي الختام، يؤكد الباحث أن جهده المبذول في هذه الأطروحة جهد بشري قابل للنقد، والتصويب، والتعديل، وهو جهد المقل، فما كان من توفيق وصواب فمن الله، وما كان من خطأ أو نسيان فمن نفسه ومن الشيطان، والله ورسوله منه بريئان. ويسأل الله أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكون حجة له لا عليه، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وهو نعم المولى ونعم النصير.

تم بحمد الله

160 ،151	129	چ □ □ □ □ چ	
160 ،151	130	چ □ □ □ □ چ	
160 ،151	131	چ □ □ □ □ چ	
160	132	چ □ □ □ □ ی □ چ	
160	133	چ □ □ □ □ چ	
160	134	چ □ □ □ □ چ	
160	135	چ □ □ □ □ □ □ چ	
19	141	چ ف ف ف ف ف	
161	145	چ پ پ پ پ پ ز ز ک چ	
160 ،152	146	چ ک ک ک ک ک گ چ	
160 ،152	147	چ گ گ گ گ گ چ	
160 ،152	148	چ گ گ گ گ گ چ	
160 ،152	149	چ ن ن ن ن ن ٹ ٹ چ	
،152 ،140 160	150	چ ہ ہ ہ ہ ہ چ	
160 ،140	151	چ ہ ہ ہ ہ ہ چ	
160 ،140	152	چ ع ع ع ع ع ٹ ٹ چ	
161	164	چ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ف ف ف ف ف چ	
89	165	چ ج ج ج ج ج چ	
89	166	چ ج ج ج ج ج ج ج پ پ پ پ پ چ	
89	167	چ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ز ز چ	
89	168	چ ک ک ک ک ک گ چ	
91	169	چ گ گ گ گ گ چ	
161	180	چ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ی □ □ □ □ □ چ	
151	183	چ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ چ	
154	189	چ ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج چ	
162	15	چ ن ن ن ن ن ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ف ف ف ف ف	النمل
162	16	چ ف ف ف ف ف ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج چ	
162 ،145	19	چ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ہ ہ ہ ہ ہ ع ع ع ع ع ک ک ک ک ک و و و و و چ	
162 ،139	36	چ ا ب ب ب ب ب پ پ پ پ پ پ پ پ پ پ ن ن چ	

157	19	چ ت ت ت ت ت ت ت ت ت ت ت ت	
157	20	چ ت ف	
143	23	چ چ ج چ ج	
143	24	چ چ چ ج چ چ ب چ	
143	25	چ ت ت ت ت ت ت	
165	26	چ ت ت ت ت ت ت ت	
165	27	چ ک ک ک	
165 ، 152	28	چ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ چ	
165 ، 153	29	چ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ چ	
165 ، 153	30	چ ت ت ت ت ت ت ت ت ت ت ت ت	
165 ، 153	31	چ ب ب ب ت ت ت ت ت ت ت ت ت ت ت	
165 ، 153	32	چ ت ت ت ت ت ت ت ت ت ت ت ت	
165 ، 159	33	چ ت ت ت ت ت ت ت ت ت ت ت ت	
155	4	چ ت ت ت ت ت ت	الحاقہ
155	5	چ ت ت ت ت ت ت	
155	6	چ ت ت ت ت ت ت	
155	7	چ ت ت ت ت ت ت ت ت ت ت ت ت	
82	29	چ ت ت ت ت ت ت ت ت ت ت ت ت	المعارج
82	30	چ ت ت ت ت ت ت ت ت ت ت ت ت	
82	31	چ ت ت ت ت ت ت ت ت ت ت ت ت	
142	20	چ ت ت ت ت ت ت ت ت ت ت ت ت	المزمل
43	41	چ ت ت ت ت ت ت ت ت ت ت ت ت	المرسلات
43	42	چ ت ت ت ت ت ت ت ت ت ت ت ت	
137	1	چ ت ت ت ت ت ت ت ت ت ت ت ت	المطففين
137	2	چ ت ت ت ت ت ت ت ت ت ت ت ت	
137	3	چ ت ت ت ت ت ت ت ت ت ت ت ت	
137	4	چ ت ت ت ت ت ت ت ت ت ت ت ت	
137	5	چ ت ت ت ت ت ت ت ت ت ت ت ت	
137	6	چ ت ت ت ت ت ت ت ت ت ت ت ت	

101	سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله	8
70	كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عُرْيانة	9
140	ليس الغنى عن كثرة العرض	10
51	ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء	11
34	وفي بُضْع أحدكم صدقة	12
78	يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج	13

فهرس الأعلام

الصفحة	الاسم	الرقم
54	إسماعيل بن عبد الرحمن (السدي)	1
97	الحسن البصري	2
54	عبد الرحمن بن زيد بن أسلم	3
58	القاسم بن مخيمرة	4
60	قتادة بن دعامة السدوسي	5
47	مجاهد بن جبر	6

97	محمد بن السائب بن بشر (الكلبي)	7
48	محمد بن الطيب (القاضي أبو بكر الباقلاني)	8
48	محمد بن عبد الوهاب (أبو علي الجبائي)	9
58	محمد بن كعب القرظي	10
58	مسروق بن الأجدع	11

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد (ت:370هـ): تهذيب اللغة، تحقيق: محمد بن عبد المنعم خفاجي ومحمود فرج العقدة ومراجعة علي محمد البجاوي . دار المصرية للتأليف والترجمة.
- الأصفهاني، الحسين بن محمد الراغب (ت:502هـ) : المفردات في غريب القرآن. مراجعة وتقديم وائل أحمد عبد الرحمن، القاهرة : المكتبة التوفيقية .
- الألوسي، شهاب الدين السيد محمود البغدادي (ت: 1270هـ): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

- البخاري، محمد بن إسماعيل(ت:256هـ): **صحيح البخاري**، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد. المنصورة: مكتبة الإيمان. 1423هـ - 2003م.
- البيضاوي ، عبد الله بن عمر بن محمد(ت:685هـ): **أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي** . بيروت : مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع.
- ابن تيمية، شيخ الإسلام تقي الدين أحمد الحرّاني(ت:728هـ): **مجموعة الفتاوى**. تحقيق خيرى سعيد. القاهرة: المكتبة التوفيقية.
- الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم(ت:427هـ): **قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس**، تحقيق:محمد سيد . القاهرة: دار الفجر للتراث. ط1. 1422هـ - 2001م.
- الجرجاني، علي بن محمد الشريف(ت:816هـ): **كتاب التعريفات** . بيروت: مكتبة لبنان. 1969م.
- الجمل، إبراهيم محمد: **الشهوة**. القاهرة: دار البشير.
- الجوهري ، إسماعيل بن حماد(ت:396هـ) : **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية** ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار . ط2 . بيروت : دار العلم للملايين. 1399هـ - 1979م.
- ابن حجر أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت: 852 هـ). **فتح الباري شرح صحيح البخاري**. مراجعة طه عبد الرؤوف سعد وآخرون. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية. 1398 هـ - 1978 م.
- حوى، سعيد(ت:1989م): **الأساس في التفسير**.ط1. القاهرة: دار السلام. 1405هـ - 1985م.
- حوى، سعيد(ت:1989م): **تربيتنا الروحية**. ط8. القاهرة: دار السلام. 1427هـ - 2006م.

- الخالدي ، صلاح عبد الفتاح : مع قصص السابقين في القرآن. ط5. دمشق: دار القلم. 1428هـ - 2007م.
- الخالدي ، صلاح عبد الفتاح : أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب. جدة : دار المنارة . ط1 . 1405هـ - 1985م.
- الخالدي، صلاح عبد الفتاح : القصص القرآني..عرض وقائع وتحليل أحداث. ط2.دمشق: دار القلم، وبيروت: الدار الشامية. 1428هـ - 2007م.
- الخالدي، صلاح عبد الفتاح، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين. ط1.عمان : دار العقل. 1999م.
- الدقور، سليمان محمد. القصص القرآني أهدافه وخصائصه ومنهجه. ط1 . عمان : دار الفضيلة . 1428 هـ - 2007م.
- الدمياطي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الشهير بالبناء(ت:1117هـ): إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر. وضع حواشيه أنس مهرة. ط1 . بيروت : دار الكتب العلمية. 1419هـ - 1989م .
- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت: 748هـ): سير أعلام النبلاء. تحقيق محمد أيمن الشبراوي. القاهرة: دار الحديث. 1427 هـ - 2006 م.
- الرازي، محمد بن عمر بن الحسن الفخر(ت:606هـ): التفسير الكبير. ط2. طهران: دار الكتب العلمية.
- رضا، محمد رشيد(ت:1354هـ): تفسير القرآن الحكيم (الشهير بتفسير المنار). ط3. 1374هـ.
- زايد، فهد : أسرار القصة القرآنية. ط1. عمّان : دار يافا. 2007م.

- الزبيدي، محمد مرتضى(ت:1205هـ): تاج العروس من جواهر القاموس. بيروت: دار مكتبة الحياة.
- الزجاج، أبو اسحاق ابراهيم بن السري(ت : 311 هـ): معاني القرآن وإعرابه. تحقيق عبد الجليل شلبي و تخريج علي جمال الدين محمد. القاهرة: دار الحديث. 1424 هـ - 2004 م.
- الزحيلي، وهبة: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. ط1. بيروت: دار الفكر المعاصر. 1411هـ - 1991م.
- الزمخشري، جار الله محمود بن عمر(ت:538هـ): الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجود التأويل. بيروت: دار المعرفة.
- أبو السعود ، محمد بن محمد العمادي(ت:951هـ) : تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم . بيروت : دار إحياء التراث العربي.
- الشعراوي، محمد متولي(ت:1998م): تفسير الشعراوي. مطابع أخبار اليوم.
- الشنقيطي ، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني (ت: 1974م): أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. 1386هـ - 1967م .
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد(ت:1250هـ): فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية من علم التفسير. ط3. بيروت: دار الفكر. 1393هـ - 1973م.
- صاحب ، إسماعيل بن عباد(ت:385هـ) : المحيط في اللغة ، تحقيق : محمد حسن آل ياسين . ط1 . بيروت : عالم الكتب . 1414هـ - 1994م.
- صليبا ، جميل : المعجم الفلسفي . بيروت : دار الكتاب اللبناني . 1982.
- ابن أبي طالب، علي (ت: 40هـ): ديوان علي بن أبي طالب. جمع وتحقيق يحي مراد. ط1. القاهرة: مؤسسة المختار. 1426هـ-2006م.

- طبارة ، عفيف عبد الفتاح : مع الأنبياء في القرآن. بيروت : دار العلم للملايين.
- الطبري، محمد بن جرير(ت:310هـ): جامع البيان في تفسير القرآن. ط3. بيروت: دار المعرفة. 1398هـ - 1978م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر (ت:1973م) : التحرير والتنوير، تونس: دار سحنون. 1997م.
- العامودي ، وليد محمد حسن : منهج القرآن الكريم في عرض قضايا العقيدة. غزة : آفاق للطباعة والنشر والتوزيع.
- عباس ، فضل حسن (ت:2011م): قصص القرآن الكريم صدق حدث وسمو هدف إرهاف حس وتهذيب نفس .ط2. عمان: دار النفائس. 1427هـ-2007م.
- عباس، فضل حسن(ت:2011م) : القصص القرآني إبحاؤه ونفحاته. ط1. عمان : دار الفرقان. 1407هـ_1978م.
- عبد الباقي، محمد فؤاد(ت:1968م): المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. ط2. دار الفكر. 1401هـ - 1981م.
- العسكري، أبو هلال المحسن بن عبد الله(ت:395هـ): الفروق في اللغة. ط3. بيروت: دار الآفاق الجديدة. 1979م.
- عمر، أحمد مختار و مكرم، عبد العال سالم: معجم القراءات القرآنية مع مقدمة في القراءات وأشهر القراء. ط3. عالم الكتب. 1997م.
- الغزالي، أبو حامد، محمد بن محمد بن محمد (ت: 505 هـ): مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب في علم التصوف. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1402 هـ- 1982م.

- ابن فارس ، أبو الحسين أحمد(ت: 395هـ) : معجم مقاييس اللغة . تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر.
- الفيروز أبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي(ت:817هـ) : القاموس المحيط . ط2 . الطبعة الحسينية المصرية . 1344هـ .
- القرطبي، محمد بن أحمد(ت:671هـ): الجامع لأحكام القرآن. القاهرة: دار الكاتب العربي. 1387هـ - 1667م.
- القطن، مناع : مباحث في علوم القرآن. ط2. الرياض : مكتبة المعارف. 1417هـ - 1996م.
- قطب، سيد(ت:1966م) : التصوير الفني في القرآن. ط17. القاهرة : دار الشروق. 1425هـ - 2004م المعارف. 1417هـ - 1996م.
- قطب، سيد (ت:1966): في ظلال القرآن. ط7. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1391هـ - 1971م.
- قطب، محمد: دراسات قرآنية. ط2. بيروت: دار الشروق. 1400هـ - 1980م.
- قطب، محمد: الإنسان بين المادية والإسلام. ط4. بيروت: دار إحياء الكتب العربية. 1965م.
- قطب، محمد: منهج التربية الإسلامية. القاهرة: دار القلم.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي(ت:774هـ): تفسير القرآن العظيم. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1388هـ - 1969م.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت: 774 هـ): قصص القرآن. جمع أحمد بن شعبان. ط1. القاهرة: مكتبة الصفا. 1424 هـ - 2003 م.
- كثر، عبد الحميد(ت:1996م): المعالجة الإسلامية للشهوات. المكتبة التوفيقية .

- الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى (ت:1094هـ): الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1993م.
- المحامي، محمد كامل حسن : القرآن والقصة الحديثة. ط1. بيروت : دار البحوث العلمية. 1970م.
- مسلم، بن الحجاج(ت:261هـ): صحيح مسلم، تحقيق: صدقي جميل العطار. ط1. بيروت: دار الفكر. 1421هـ - 2001م.
- مصطفى، إبراهيم ورفاقه : المعجم الوسيط . استانبول. دار الدعوة .
- ابن المناوي، عبد الرؤوف(ت:1031هـ): التوقيف على مهمات التعاريف. تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان. ط1. القاهرة: عالم الكتب. 1410هـ - 1990م.
- ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري(ت:711هـ) : لسان العرب. بيروت: دار صادر (73/7).
- المودودي، أبو الأعلى(ت:1979م): الحجاب. دار الفكر.
- نوفل ، أحمد : سورة يوسف ، دراسة تحليلية. الأردن : دار الفرقان. ط1 . 1409هـ - 1989م .
- نوفل، أحمد : مناهج البحث والتأليف في القصص القرآني. ط1. عمان : دار الفضيلة. 1427هـ-2007م.
- النووي، يحيى بن شرف (ت: 676 هـ): صحيح مسلم بشرح النووي. ط3. بيروت: دار الفكر. 1398هـ - 1978 م.

An-Najah National University

Faculty of Higher Studies

**The Approach of The Holy Qura'n Story in
Controlling Self Desires**

By

Ahmad Abdul Qader Hassan Qatanani

Supervisor

Dr Muhsen Sameeh Al Khaldi

This thesis is submitted as a completion of the requirements to obtain a Master degree in the Fundamentals of Islam (Usul El-Din) from the Faculty of Higher Studies at An-Najah National University , Nablus Palestine.

2011

The Approach of The Holy Qura'n Story in Controlling Self Desires

Prepared by

Ahmad Abdul Qader Hassan Qatanani

Supervisor

Dr Muhsen Sameeh Al Khaldi

Abstract

This research handles the study of the Holy Quran story, and clarifying its approach in controlling desires. The research has come to the point that desire is natural in man.

Therefore, it ought not to be restrained .On the contrary, it should be refined and well controlled without exceeding the limits.

The researcher has concluded this approach shortly after the study of the Holy Quran story telling that talk about the sexual, offspring and possession desires.

The approach of controlling the sexual instinct focuses on the call to complete cloth covering , the inversion of glance , urging marriage whereas it's possible and finally warning ,threatening ,denial and dispraise.

The approach concerning the love of offspring instinct basis on many other points such as the calamity of children itself besides the priority of belief upon relationship and relatives.

The approach related to refining the desire of possessions depends not on deducting the scale the call to self-content , generosity and spending. Denial and dispraise. threatening.

The researcher has found out that Gadha is leaving the gate open to appeal Him constantly for prayers and seeking God's help concerning refining desires .In addition to all the above mentioned stories that have positive effects to imitate as well as negative ones to avoid.

The study has set the basis of this topic and raised its approach. Also it showed the results of such topic and put forward the practical and theoretical solutions for it

